روايات 

عالمية

الإنسان الجديد

COMMAND THE MORNING

٥٠ مليما

روايات عالمية

العدد رقم ٣٤٣

الإنسان الجديد

تأليف بيرل باك
ترجمة بهجت عبد الفتاح

كان ذلك فى عام ١٩٤٠ وكانت انجلترا قد أعلنت الحرب على المانيا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، ولكن أمريكا كانت ماتزال فى مأمن من كل خطـر .

كان بيرتون هول يقول فيما بينه وبين نفسه : اننا مازلنا فى مأمن ، وكان الوقت ربيعا حتى فى كاليفورنيا ، حيث كانت بوادر الخضرة الجديدة ، وبراعم الازهار أقل وضوحا منها فى حديقتـه الصغيرة فى ضواحى شيكاغو التى تركها منذ يومين ليأتى الى هنا بالطائرة . وكان ركوبه للطائرة دائما ما يسبب جدلا بينه وبين زوجته مولى ، فكانت تزمجر وهى تقول له :

ــ اذا كنت مصمما على أن تموت ، فكم أود أن تختار طريقـة للموت لا تتركك اربا . انى أريد أن أجد شيئا اواريه التراب ، واقوم بزيارته بين الحين والآخر .

وكان بيرتون يبتسم فى غيظ وهو يقول لها :

ــ شيئا تزورينه ؟ انك لم تشاهدى بعد نصف ماسوف افعله اذا دخلنا هذه الحـرب .

ثم طبع على خدها الممتلىء قبلة ، واستدار ذاهبا الى المطـار فى عربته القديمة .

وبعد ثمان واربعين ساعة كان يتناول عشاءه فى نادى الكلية فى بيركلى مع وليم طومبسون ، أحد زملائه العلمـاء وبدا حديثه معـه قائلا :

ــ لقد ابلغت زوجتى مولى ــ منذ ثلاثة شهور ــ باننا قد ندخل

هذه الحرب في شهر ابريل الماضي ، واني أشكر الله اني كنت مخطئا وآمل أن اشكره دائما عندما أقع في مثل هذا الخطأ .

وعبر المائدة التي كانا يجلسان اليها ، كانت شمس الظهيرة تسطع من خلال اذني طومبسون ، الرفيعتين الكبيرتين ، حتى انهما بدتا مثل فراشات قرمزية اللون على جانبي وجهه الشاحب الصغير .

وسأله بيرتون هـول :

ـ ألم تر في حياتك فراشات قرمزية اللون ؟.

وتطلع اليه طومبسون مندهشا ، وقال :

ـ اتقـــول فراشات ؟.

فقـــال بيرتون هـــول :

ـ وقرمزية اللـــون أيضـــا .

واخذ طومبسون يفكر في الأمر باهتمام ، بينما كانت السكين والشوكة ترقدان فوق قطعة اللحم المقطعة . وقال :

ـ لم ارها ابدا قرمزية اللون .

فقال بيرتون هـول فجأة :

ـ وأنا كذلك لم أرها قرمزية اللون ..

ثم أخذ يقطع بسكينه قطعة سميكة من اللحم المحمر ، وقال :

ـ لنعد الى ماكنا نتحدث عنه ..

كانا يتحدثان عن الحرب التي يستعر اوارها في اوروبا وآسيا وكانا يتحدثان ايضا عن زملائهما من العلماء الذين يهربون من المانيا وبولندا ، والنمسا ، والمجر ، ليلجأوا الى فرنسا في بادىء الأمر وبعد ذلك الى انجلترا ، والآن يتدفقون الى الولايات المتحدة حاملين معهم قصصهم المخيفة الرهيبة .

وتساءل طومبسون ، وكان قد فرغ من التهام آخر قطعـــة من اللحم في طبقه ، ووضع الشوكة والسكين جنبا الى جنب :

ـ هل تعتقد اننا نستطيع أن نكون بمنأى من هذه الحرب ؟.

فقال بيرتون هـــول :

ـ اننا لانستطيع ان نتجنبها ».

فرد عليه طومبسون قائلا :

ـ اجـــــل .

ولم يكشف صوته المضطرب عن اى اهتمام غير الضيق . ثم واصل كلامه بنفس الطريقة قائلا :

« ان النازيين يعملون حاليا فى الطاقة الدرية ، ولديهم نظرية فصل اليورانيوم ٢٣٥ . وقد يعنى هذا انهم ينوون عمل قنبـــلة ذرية ، بالرغم من ان فيرمى لا يعتقد انهم يستطيعون ذلك » .

فقـــال بيرتون هـــول :

ـ انهـــا اوهام فيرمى .

فرد عليـــه طومبســـون قائلا :

ـ كيف تستهين بمثل هذه الاستعدادات ؟.

فأجابه بيرتون هـــول :

ـ لأننى واقعى .

لم يكن طومبسون قد جاء الى هذا المكان ليتحدث عن الأسلحة وكان يعرف أنه يكذب على نفسه . لقد جاء الى هنا وهو يشـــعر بشيء من الخوف لأنه عالم كبير ، فقـــد قام بعمل « سيكلوترون » تستطيع اشعاعاته ان تحطم الذرة . وكانت الذرة أهم شيء فى العالم فى ذلك الوقت ، وهى جزء لا تستطيع عين الانسان أن تراه الا كنقطة باهتة على شاشة سينمائية . واتكأ بيرتون هول واقترب بوجهه الى عينى طومبسون المندهشتين ، وقال له :

ـ هل انت مستعد لأن تقضى معى العام القادم للقيـــام بهذا العمـــــل .

فأجاب طومبسون :

ـ اذا اضطررت الى ذلك ، بالرغم من أننى أود أن انهى تجاربى

واصل الى بعض النتائج ، من أجل المؤتمر الدولى الكبير الذى سينعقد فى الخريف القـادم .

فقـال بيرتون هـول :

ـ ان هناك أشياء كثيرة نود ان نقوم بها والتى لايبدو انها ستتم الآن على الأقل . اننى اجمع العلماء ، واحسن العلماء بالطبع ، من كل ركن من المصانع والجامعات . والرجل الذى أعول عليه كثيرا بعدك هو ستيفن كوست ، أتعرفه ؟ فتساءل طومبسون فى حـذر :

ـ هو شاب ؟ أليس كذلك ؟ .

فأجابه بيرتون هـول :

ـ انه شاب وجرىء ولهذه المهمة يجب أن يكون هؤلاء العلماء من الشـبـاب .

وصمت طومبسون ، وأخذ يعد مامعه من نقود . وكان بيرتون هول ينتظر ، ويجول بعينيه الخضراوين فى القاعة المزدحمة . كان كل من فى هذه القاعة ياكل ويشرب ، وكل منهم يرتاح الى مكانه الصغير فى الجامعة ، دون ان يفكر فيما يطويه المستقبل . وسوف يطلب ستيفن كوست اليوم . وبعد ذلك يشغل نفسه بما جاء من أجله . لقد جاء الى كاليفورنيا ليذهب الى جبل بعيد يرقد فوق قمته تليسكوب كبير وهناك سوف يتطلع الى النجـوم البعيدة ، والمجرات التى تبعد من المكان الذى يقف فيه بنحو خمسين الف عام وكما يتجه بعض الناس الى الله يستلهمونه القدرة على البقاء فى أوقات الشدة والخوف كما يتجه آخرون الى الشراب هـروبا من مخاوفهم ، اتجه هو الى النجـوم والفضاء الواسـع العريض .

وتنبه فجأة الى وجود طومبسون وقال :

ـ هل استطيع ان اعتمد عليك يا تومى ؟ .

ـ اذا وقع اسوأ مايمكن ان يحدث يابيرت .

ـ سوف يحدث . انى خائف .

ـ آمل الا يحـدث .

وصافح كل منهما الآخر . وركب بيرتون هول سيارته ؛ ويمم وجهه تجاه سلسلة من الجبال فيما وراء الأفق .

كانت ليلة صافية ، صعد بيرتون هول بسيارته الى الطريق الوعر في شيء من اليسر ، واخذ يدور بها حول الجبل حتى وصل الى قمته . وفي ضوء القمر الخافت رأى القبة الفضية الهائلة ، اكبر تليسكوب في العالم ، والذى استغرق بناؤه عشر سنوات وجهود مئات من الرجال الذين مات عدد منهم اثناء العمل . وامضى فى صمت تام ما يقرب من ثلاث ساعات تحت القبة الفضية العالية . وخرج كما كان يخرج من قبل ، رجلا متواضعا يحمل في راسه افكارا كثيرة . لقد كان كل مايشغل باله أن يعرف كيف تولد النجوم ، وكيف تكبر ، وكم من الزمن تبقى في الفضاء الذى يحيط بها .. ويسأل نفسه :

ـ لماذا لم اتمسك بهذا الامل ؟ ولماذا شغلت نفسي بالاشعة الكونية وبنواة الذرة ، وهى شيء صغير جدا ، لا استطيع ابدا أن آمل فى أن أراه . ان الارض رائعة الجمال ، ولكن لماذا لا تشبع روح الانسان القلقة ؟ ثم لماذا هو يمضي ايضا يحاول أن يعرف ما وراء ذلك ،وهذه معرفة لانهاية لها ؟ انه الجوع والعطش الى المعرفة .

كان يقود سيارته فى الطريق الضيق الملتوى فى تهور لاشعورى وانما كان يفكر فى السر وراء ذلك كله . انه لا مفر من المحاولة ان الانسان عندما يتوقف عن طلب المعرفة يعود الى عصور الوحشية فاما التطلع الى النجوم او العودة الى الادغال .. وفجاة تذكر انه نسى أن يطلب ستيفن كوست .

كانت اشعاعات الشمس الغاربة تزحف على ارضية الحجرة وكان ستيفن كوست يتنهد . كان النهار على وشك ان ينتهي .وكان وحده في الشقة . فقد كانت زوجته هيلين فى حفلة فى الشقة المجاورة . كان البيت هادئا . ومرت الساعات كدقائق وهو يجلس في معمله . وفجاة ينظر الى الساعة فيجدها السادسة بالسماء!!

لقد أوصته زوجته ان يشعل الفرن فى الساعة الخامسة حتى يكون الطعام معدا فى السابعة . فأسرع وغسل يديه ، وقفز درجات السلم الضيقة الى المطبخ . وفي نفس الوقت كانت زوجته عائدة من الباب الخلفى ، فتوقف وهو يشعر بالذنب ، أما زوجته فضحكت وقالت :

ـ لقد نسيت ان تشعل الفرن على الطعام .

ـ كيف عرفت ذلك ؟.

ـ ان وجهك دائما يقول لى كل شيء .

وقبلته قبلة قصيرة ، وأشعلت الفرن . فقال ستيفن :

ـ انى آسف ياهيلين .

فقالت زوجته وهى تخلع قبعتها ، وتفرد شعرها الاسود المجعد .

ـ سوف نتناول عشاءنا بعد الوقت المحدد له بساعة . ولكن ماذا كنت تفعل ؟ بين كتبك بالطبع ؟ .

كان ستيفن كوست طيلة السنوات الخمس السابقة يقيس الأشعة الكونية ، هذه الاشعاعات من الحرارة التى تخترق أجواء الكرة الارضية . لطالما صعد جبال الهيملايا ليقف مرتعشا بل يكاد يتجمد من البرودة بين الثلوج ، وطالما هبط الى اعماق المناجم الساخنة فى مناطق الفحم فى ويلز ليكشف عن تسلل هذه الاشعة ومن هذه الكشوف جميعا سوف يضع كتابا . وقد اتفق مع زوجته على أن يتحول هذا الكتاب الى تلك المادة النفيسة ، المال ، وذلك لبناء البيت الذى تريده هيلين . وقد وعدها زوجها بان يفعل ، وانه لن يستخدم مزيدا من الاموال للانفاق على رحلات أخرى ، وكان يريد ان تكون رحلته الثانية خط الاستواء حتى يكتشف ماذا يعنيه انبعاج الكرة الأرضية هناك . ولكن البيت قبل كل شيء .

ورفع غطاء قدر من الخزف الأزرق يحتوى على كعك . ولكن هيلين خطفت الغطاء منه ووضعته مكانه . وقالت :

ـ هذا خداع .. لأنك نسيت ان تفتح الفرن على الطعام .

ورضخ لها كما كان يفعل دائما فى المسائل البسيطة كلها .
وفجاة قالت هيلين :
ـ انك لم تعمل حتى فى معادلات الاشعاعات الكونية .
فقال فى ألم :
ـ هل وجهى ينبىء عن ذلك أيضا ؟ .
فسألته :
ـ اذن ماذا فعلت ؟ . فاعترف لها بقوله :
ـ كنت أعد طعام الكلب . فقالت :
فقالت :
ـ كل فترة ما بعد الظهر من اجل الكلب . لقد وعدتنى ان تبدأ كتابك اليوم .
فقال :
اننى شخص لا يعتمد عليه كلية .
فرمقته بنظرة فاحصة ؟ بعينيها الورقاوين جدا . وقالت :
الا تريد أن تتغير ؟ ففكر قليلا ثم اردف :
لا . . أعتقد . . اننى لن أفعل ـ ليس لدى وقت لذلك .
واطلقت ضحكتها الناصعة المفاجئة وجرت اليه واحتضنته بعنف وقالت :
انك أمين مخلص بشكل يستحق الاعجاب .
وتحمل هذا العناق بصبر وبعد أن واجه نظراتها التى تؤنبه انحنى قليـــلا ليقبلها على خدها ولكن فى هدوء ورقة حتى انها تشبثت بكتفيه وهزته بقدر ما أتاحت لها قوتها فقد كان رجـــلا ضخما بالرغم من أنه نحيف ، وكانت هى امرأة رقيقة صغيرة الحجم ثم قالت فى عنف :
ـ أتدرى كم من الأيام انقضى منذ أن اجتمعنا آخر مرة ؟ .
فقال لها على الفور :
ـ « منذ أسبوع » .
ورفعت اليـــه حاجبين سوداوين ، وزمت فمهـــا الوردى ثم

استطردت « منذ اسبوعين .. لو لم أكن أكثر النساء صبراً واحتمالا في هذا العالم ، ومتزوجة بأكثر العلماء جموداً وبرود عاطفة لكنت ...

واستطاع ان يستشف انها قد سكتت قليلا لتستمع الى سؤاله :

ـ ماذا كنت ستفعلين ؟ »

فأجابت بسرعة :

ـ كنت هربت .. وهربت بعيدا .. حتى اذا كان الليل شديد البرودة .

فقال :

ـ كنت اضيع وقتي بشكل كبير لو جريت بحثا عنك . ولكني اعتقد انني كنت ساضطر لذلك .

واخفت وجهها في صدره وقالت :

ـ كنت ساتي ان لم تفعل ..

واضطرب من موافقته على هذا القول وازدف .

ـ كنت ستاتين . وبكل تأكيد انك لاتستطيعين ان تتحملي ، الا تعرفين ماذا افعل بدونك .. كنت ستخشين ان أمضي على خير ما يـرام .

وضحكت مرة اخرى وهي تضيف :

ـ انا اعرف انك لاتريدني ولكنك على الاقل سوف تتظاهر بانك تريدني .

ولم يجب على قولها هذا اما هي فقد رفعت وجهها وهي تامره قائلة :

ـ قبلني بالطريقة الصحيحة .

منذ سنوات عندما كانا جديدين في الكلية ، علمته بالضبط ماذا تعنيه بالقبلة على الطريقة الصحيحة ، ومن ثم مضى على الفور في القيام بهذا الواجب وهو واجب حبيب الى نفسه ولاريب ... وانتظر الومضة التي تسيل في عروقه . وضغط بشفتيه على

شفتيها ، واخذ يقيس الحرارة المتزايدة الناتجة ، وتخيل آلة دقيقة تقيس بطريقة بيانية القوة المتزايدة للحب ان هذه القوة فى سرهـا تعتبـر تفجيرا ذريا أيضـا .

ونزعت نفسها من بين يديه :

ـ انك لاتفـكر فى ا.

وحينئذ رن جرس التليفون ، وعلى التو استدار الى هـذه الآلة التى انقذته من الورطة التى كان فيها . ودفعته زوجته جانبا وقالت :

ـ ان هذه مكالمة لى ، وانا انتظـرها . ان عائلة بورتر تريدنا أن نذهب اليها ، وقد قلت لهم سوف أبلغك .

فسـألها ...

ـ ماذا تعنين ؟.

فقالت وهى تقضم شفتها السفلى ، وعيناها مسددتان اليه .

« أعنى ماتعرفه بالضبط ».

واختطفت زوجته سماعة التليفون ثم اعطتها له ، وهى تقول :

ـ ليست هذه مكالمة عائلة بورتر ، ان شخصا يريد أن يحدثك من كاليفورنيـا .

ورمقها بنظرة تأنيب ثم امسك بسماعة التليفون . واخذ يحدثه رئيسه العالم الطبيعى « بيرتون هول » وكان صوت «بيرتون» المرتفع يهز أسلاك البرق ، وهـو يقول :

ـ آسف اذ أطلبك فى هذه الساعة ولكن الأمر مهم جداً .

ـ بالطبـع !.

ـ اذا طلبت منى الحكومة أن أرأس مشروعا معينا فانى اريدك أن تـكون معى .

ـ أين ياسـيدى ؟.

ـ لا أعرف بعد . بل لا استطيع ان اقول لك ماهو هذا المشروع ولكنك لن تأسف على الحضور . انه اكبر عمل فى العالم .

ـ الا تستطيع أن تقول لى أكثر من هذا ؟.

ـ لا . ان الامر سـ ـر .
ـ ومن سيكون معنا فى هذا المشروع ؟
ـ جميـع كبار العلماء بالاضافة الى افضل العلماء من الشباب وانت أول من أريدهم من هؤلاء .
ـ من الصعب ان اقول لك لا ، ولكن ..
وهنا رنت فى اذنه ضحكة كبيرة ، وسمع زوجته تقـول :
ـ ارفض هذا الطلب . فانا لا استطيع أن أتركك .
وتردد كوست قليلا . لقد عمل مع بيرتون هول وتحت أشرافه منذ ان انتهى من دراسته . ثم قال لاستاذه عبر التليفون :
ـ يجب أن اتحدث فى هذا الشأن مع زوجتى .
وكانت هيلين فى هذه الاثناء تذرع الغرفة وقد احتقن وجهها ثم تمتمت فى همس تقـول :
ـ لاتقل انك مضطر لأن تناقش معى هذا الموضـوع
وضحك ، وقال عبـر التليفـون ..
ـ ان هيلين تقول انها لاتريد أن تتحدث مع أحد بشـأن هذا الموضـــوع .
فرن الصوت الآخر الاجش فى اذنه وهـو يردد :
ـ يالها من فتاة طيبة . سوف ترضخ . انهن دائما يفعلن ذلك .
وكان بيرتون هول يعنى بهذه العبارة الاخيرة ، زوجته مولى .. ام ولديه الحنون ، التى تتدخل فى كل شىء ، والتى دائما ماتكون حاضرة فى اى موضوع ، حتى أن هيلين فى يوم من الأيام قالت فى غضب انه لاتوجد وسيلة للبعد عن هذه السيدة . وقال لهاستيفن آنذاك :
ـ وبمـا لايريد هـو أن يبتعـد عنها .
كانت هيلين قد فتحت عينيها الزرقاوين تحت رموشها السوداء ثم القت بكلمة ـ غبى ـ التى كانت كافية لأن يتبادل الاثنان بسببها الضـحك .
ثم قال ستيفن لاستاذه عبر التليفون :

ـ احب ان اسمع كل شيء عن الموضوع اذا بديء في تنفيذه والعمـــل فيــه

فسمع بيرتون هول يقول له :

ـ بالطبع . واحب ان اراك صباح الثلاثاء في العمل .

وسمع ستيفن صوت سماعة التليفون على الطرف الآخر وهى ترتطم بالآلة ، ثم وضع السماعة التى فى يده ، ووقف تائها فى تفكير عميق وكانت هيلين تنتظر فى صمت ، وكانت قد فتحت باب الفرن .. واخرجت الشواء ، ثم جسته بشوكة ، ثم ادخلته مرة اخرى ثم واغلقت الباب . ثم اخذت تتمتم :

ـ وداعا يامنزلى .. وداعا يامنزلى الحبيب الجديد .. المنزل الذى لن املكه أبدا ، بيتى ، قلعتى ، مأواى الجميل ، وداعا يا شجيرة الورد البيضاء وداعا ياحديقتى الزرقاء ذات الأشجار الجميلة .. وداعا لـكل شيء .

وتنبه ستيفن فجاة ، وكانه عائد من اماكن بعيدة وقال :

ـ لا وداع لأى شيء .. ان المنزل هناك ينتظر ، قد اتفق معك فى انه سيتاخر قليلا ، ولكنه موجود ، وسوف تستمتعين به يوما ما . ثم قالت :

ـ عندما اراه ..

ولكنها كانت لا تزال مبتهجة ، ومتسامحة وكانت ترقص فى دائرة حوله ، وهى تفرد فستانها ، واخذت تغنى :

« سوف يكون لنا ولد . سيكون لنا ولد صغير يشغلنى عن كل شيء . ولد انلهى به بينما تكون انت مع نجومك وذراتك » .

وقفت بجانب الفرن واطفاته ، ونظر اليها مستغربا وقال :

ـ اهــــذا وقتـــه ؟ . .

ولكنها واصلت رقصتها وهى تضيق من الدائرة حتى انتهت بين ذراعيه ، وشفتاها فوق شفتيه ، وتمتمت قائلة :

لينتظر العلـــام .

وبعد ذلك بساعتين ، سحبت نفسها من جانبه ، وقالت :

ـ لم يحدث شيء هذه المرة أيضـــا ».
جلست على طرف السرير الكبير ، ووضعت رجليها في « شبشبها » وكان ضوء القمر الصاعد في السماء يتسلل عبر الستائر البيضاء المسدلة . وسألها :

ـ ما الذي يجعلك تقولين ذلك ؟

ـ فهزت رأسها وقالت :

ـ لم يكن قلبك معي ».

وأخذ يفكر في هذا الاتهام ثم قال :

ـ ليس صحيحا ماتقولين .

وتحولت اليه وأمسكت بأذنيه ، وأخذت تحملق في أعماق عينيه ، ثم قالت :

ـ لم يكن عقلك حينئذ هنا . وأتحداك ان لم يكن عقلك هو قلبك ، وقلبك هو عقلك ، وأنت لاتعرف الفرق بينهما ».

فتطلع الى العينين الزرقاوين اللتين تتهمانه ، واذا لم يستطع أن ينكر الحقيقة ، جذبها اليه حتى أصبح فمها على فمه وتبعثر شعرها الاسود على وجهه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء كان بيرتون هول يتحدث الى ستيفن كوست وفي نهاية الحديث قال له :

ـ هذا ما استطيع ان اقوله لك . أما الباقي فيجب أن تثق بنا بشأنه .. ان هذا عمل هام في ساعة عصيبة . وسوف نجري الاختبارات في مكان ما ، وبعد ذلك نمضي في الانتاج ».

وسأله ستيفن :

ـ الا تعرف أين ، ومتى ؟ ».

ـ ليس بعد . ولكن سيكون العمل في مكان بعيد منعزل لا يمر فيه انسان حيث نستطيع أن نحمي المداخل والمخارج .

ـ كم سيمضي من الوقت قبل أن نتحرك ؟ ».

ـ انني لا أعرف ذلك أيضا . ولكن لايجب أن تثبت في أي مكان في هذه الفترة . ولا يجب أن تشتري المنزل الجديد ».

واخذ ستيفن كوستت يفكر ؟ ولكن صوت بيرتون هول الحاد داهمه وهو يفكر ، وقال :

ــ انني اريد مساعدتك .

ولم يجب ستيفن كوستت وكانت شمس أبريل الباهتة تسطع عبر المكتب الكبير القديم فى الجامعة ، وتسقط على السجادة البالية عند قدميه . ثم تلاقت عيناه بعينى بيرتون هول الخضراوين المتوترتين تحت حاجبيه الكثيفين . وقال :

ــ الا يخاف هؤلاء العلماء الاجانب ، وخصوصا هؤلاء الذين قدموا من المجر .

ــ اعتقد انك تفكر فى زيجنى انه مثير . وكم اصب شكوكى عليه ، ولكنه لايضعف . ودائما مايردد اتهاماته بأن الامريكيين اطفال يناموں مثل الصبية ، ويحشون بطونهم بالطعام ، ويلعبون بالكون ويتلهون بالحب . وهو يصر على أن اهتمامنا بالجنس فى حد ذاته يجعلنا اغبياء ، ويغلق عقولنا .. على فكرة سوف اتناول عشائى اليوم مع طومبسون . لقد عاد معى . الم تقابله ؟.

ــ طبعا سمعت عنه .

ــ انني لأعجب هل سنستطيع مرة أخرى أن نقيس الأشعة الكونية كما كنا نفعل ؟ . لا اعتقد .

أما فيما يتعلق بطومبسون فهو زميل رائع . لقد كان طالبا عندى منذ اثنتى عشرة سنة ، او ربما ثلاث عشرة سنة . وهويتمتع بعقل خصب ، ودائما مايفكر فى اشياء جديدة ، بل وينفذها . ويكاد ينتهى من جهاز السيكلوترون الذى يصنعه ويتوقع ان يفعل به شيئا عظيما فى علاج السرطان . وسوف يكون لديه افكار جديدة اليوم . ان الافكار تنبثق منه وهى تتعلق بالتفاعل . عليك اذن أن تحضر الى فندق بيلامى فى الساعة السابعة والنصف . فلنستمتع بشىء من الرفاهية قبل أن ننغمس فى التقشف والجفاف

وعلى الفور قال له ستيفن كوستت :

ـ سوف اكون هنـاك فى ذلك الوقت .

ونهض ستيفن كوست ، ولكن بيرتون هول واصل حديثه قائلا:

ـ لقد اوقفنى طومبسون يوما وهو فى طريقه الى كاليفورنيا وكان فى ذلك الحين يدرس هناك ، واطلعنى على الخطط التى وسمها لهذا الجهاز الذى يسميه بالسيكلوترون ، والمسالة تتعلق بما اذا كان هذا الجهاز سيفيد فيما نحن مقبلون عليه ، وعلى اية حال فهو يفيد الى الدرجة التى تجعلنا نتتبع طريق النواة المنفردة ، ولسوف نتعرف على اقل قدر من الطاقة نحتاج اليه لتحطيم نواة معينة ، ومن ثم فان كل ما قمنا به من عمل يتعلق بالطاقة الشمسية ، سوف يفيدنا الآن وانى لاراهنك على انك كنت تعجب مما سوف نجنيه من فائدة من عملنا فى الاشعاعات الكونية .

وهنـا قال ستيفن :

ـ لقد علمتنى الا اسأل . وان امضى فى المعرفة من اجل المعرفة ذاتها .

فوافقه بيرتون على ذلك ، وقال :

ـ هذا راى . ولقد ادى بنا ـ او سوف يؤدى بنا ـ الى السر الذى يكمن وراء الشمس ، ووراء الحياة ذاتها . فكر فى هذا جيدا لقد كان يمكن ان تموت البشرية لو لم يكن هـذا السر بل وكانت الشمس قد بردت منذ فترة طويلة او لم تكن موجودة من اجـل هذا المنبع المقدس للطاقة الحرارية النووية . . الانفجار ، هذا هو السر ، واننا على وشك ان نكتشف اعظم هذه الانفجارات جميعا . وماذا كنا سنفعل بدون العلماء الاوروبيين ؟ لقد عاشوا اجيـالا كثيرة يستخدمون فيها عقولهم المركزة لحل المشكلات المركزة الدقيقة بينما لم يكن لدينا وقت ، كان علينا ان نبنى امة من الاحـراش ، ومن ثم لايجب ان نهمل هؤلاء الاجانب . لقد اطلت ويجب على ان اتوقف عن الوعظ . وكان يمكن ان اكون واعظا ، وانا لا استطيع ان اهـرب مما ورثت . الم اقل لك كثيرا ان ابى كان من رجـال الدين ؟ .

فقال ستيفن في حـزم ؟

ـ نعم لقد قلت لي ذلك .

فقال بيرتون هــول :

وكانت امي ايضا متدينة . فكيف أستطيع أن أهرب من هذا الارث ..

فقال ستيفن كوست وهو يقف بالقرب من الباب .

ـ بالطبع لا تستطيع . وداعا . سوف أراك هذا المساء .

فأخذ ستيفن كوست يفكر فيما بينه وبين نفسه كيف ستتحمل هيلين هذه الخطوة الجديدة . لسوف تسأل الى أين سنمضي . ولن استطيع الاجابة على هذا السؤال . ان بيرتون هول لم يعتبر ذلك شيئا مهما وربما لايعرف الى أين سنمضي .. اذن لا حاجة لأن يطلب هيلين ، فسوف يعرف الكثير هذه الليلة وسوف يكون هناك وقت كاف ليحدثها فيه عندما يعود الى المنزل كذلك يجب أن تتعـود على الانتظار من الآن . ونحى جانبا فكرة انها لم تتعود على الانتظـــار وانها لن تتعود عليه . ذلك انها قالت :

ـ ان لدى مرضا خطيرا يطلق عليه قلق الروح .

ونحى ايضا هذه الفكرة جانبا . ومضى يسير في هواء الصباح البـارد . وقد تنبأ الراديو بان المطر سوف يهطل بعد الظهيرة ، وربما بعض الثلوج . وتنفس في عمق ثم أسرع الخطى . كان منتعشا ، ويشعر بالحيوية والشباب . ثم تذكر فجأة انه لن يذهب الى منزله لتناول الغداء . ومن ثم أمسك بسماعة التليفون ليكلم زوجته .

ـ هيلين ؟ .

ـ نفس الشيء بالامس واليوم والى الابد . ان عندي بعض شرائح اللحم للعشاء هذه الليلة .

ـ هيلين ، يجب ان اقول لك .

فقالت وقد تخلت عنها فرحتها :

ـ لن نستطيع ان نشترى البيت ؟ .

ـ ليس بعد ياعزيزتى . ولكن .

ـ ماذا يريد رئيسك الآن ؟

ـ شيئا على جانب كبير من الأهمية ، وانا لا استطيع ان ارفض .

فصاحت وهي تقول :

ـ بالطبع ان كل شيء مهم بالنسبة لك .

وتركها تولول ، ثم قال :

ثم قال :

ـ هل استقيل من وظيفتي ؟

ـ لا ياستيفن ، لا .

ـ سوف يكون لك بيت ، وانت تعرفين ذلك .

ـ نعم ، اعرف .

ـ هل احبك ؟

ـ اعتقد ذلك .

ـ هل احبك ؟ .

ـ نعم .

ـ تذكري ذلك جيدا .. على فكرة لن أحضر العشاء الليلة . ان بيرتون هول يريدني ان اقابل طومبسون .

ووضع السماعة في مكانها بما ستجيب به عليه .

كانت ردهة الفندق مزدحمة بالناس عندما دقت الساعة السابعة والنصف . هذا بالرغم من انها ردهة كبيرة ، تتدلى على يسارها الستائر الشرقية التي يصل ارتفاعها الى اثنى عشر قدما . أما في وسط الردهة فكانت النافورة تخرج ينابيعها الصغيرة من المياه الفضية ، وفوق النافورة وفي قفص كبير معلق بخيوط لاتستطيع ان تراها كانت الطيور والعصافير تمرح وتغني . وتطلع ستيفن حوله ولم ير واحدا يعرفه . لقد جاء في موعده بالضبط وهو الآن اول من حضر . ويتذكر كيف ان هيلين صباح ذلك اليوم قد اعربت عن شكواها قائلة :

ـ كم تضيع من الوقت وانت تضبط مواعيدك دائما .

ولكنه لم يكن يستطيع ان يغير نفسه . لقد علمه ابوه ان يكون دقيقا . فالشكر يجب ان يقال قبل ان يؤكل الطعام . وكان هـذا



الشخص الطويل — وهو ابوه — ينتظر على راس المائدة ثلاث مرات فى اليوم حتى تجتمع العائلة كلها . ولكن الوقت اصبح جامدا لايتحرك ، مادة يخضع لها الواحد ارادته .

وقد قالت له زوجته هذا الصباح :

— [illegible] الوقت .. الا تعتقد فيما قاله اينشتين ؟ انه شىء [illegible]

كانت [illegible] عاداتها المبالغة والمثيرة للضيق الى حد ما .

واخذ [illegible] وهو واقف امام النافورة ويشاهد العصافير المرحة [illegible] تعلمت الحديث العلمى ، واستخدمت ذلك

لمضايقته وتحديه ، ونجحت فى ذلك لأنه ، لدهشته الشديدة ، لاحظ انها تدرك بشكل مدهش المبادىء التى تعلن انها تحتقرها ، وليس هذا عن طريق استخدام عقلها ، ولكن عن طريق ومضات لما يسمى بالحدس ، وهذه كلمة يمقتها كثيرا .

وترك هذا كله يخرج من عقله ، وركز اهتمامه على العصافير الخضراء وبعض عصافير الكناريا الصفراء . وانطلق أحد عصافير الكناريا وكان من الذكور ، يغنى ، وحفز أكثر من ستة عصافير أخرى على الغناء والتمشى معه فى النغم والصوت . اما الاناث فقد لاحظ انها تظاهرت بعدم الاهتمام . فقد وقفت على الاسلاك الصغيرة داخل وعاء الحبوب واخذت تلتقط طعامها . فهل تسمع أو تهتم ؟ لقد اخذ يعمل فكره حول الاختلاف بين الاجناس . للنظر الى فراشات الفاكهة ــ ولم يكن ستيفن من علماء [illegible] ناقش هذا الموضوع فى احدى الامسيات مع ستانتون عالم الأحياء الكبير .

قال ستانتون :

ــ قد تكون الاهمية الوحيدة للذكر هى أنه اداة للبقاء .

واعترضت هيلين وقالت :

ــ فكرة رهيبة .

ولكن عينيها كانتا تتطلعان فى حب استطلاع حتى انها قالت :

ــ استمر ..

فواصل ستانتون حديثه قائلا :

ــ انى اعمل بالارقيات وقد وجدت أنه عندما ينقص الطعام ، ويصبح الأمر يتعلق بالبقاء ، الشىء الذى يعنى الصراع ، فان الكثير من الذكور يولدون . ولكن اذا ما ازدادت مؤن الطعام ومن ثم قلت الحاجة الى الصراع ، فانه يولد الكثير من الاناث .

وسالت هيلين :

ــ ماذا يعنى ذلك ؟.

فقال ستانتون وهو يضحك :

ـ انت التي تقولين لي ».

وواصل ستيفن تفكيره ... ليس هناك قلة في الطعام في هذا الفندق . فهاهي أوعية الحبوب ممتلئة ، وهنـــاك بعض أوراق الخس ، وبعض البيض الملون المقطع يقدم غداء لهذه الاناث . وكانت ما تزال تتخم حويصلاتها بالأكل ، غير عابئة بالغنـــاء الذى كانت الذكور تشدو به .

ولكن صوت بيرتون هول الأجش أخرجه من هذا العالم الكبير:

ـ أنت هنا ـ يا ستيف ـ هل انتظرت مدة طويلة ؟ . ها هو طومبسون قادم من كاليفورنيا ـ تومى ـ انك تعرف ستيف ـ انه مشهور بالأشعة الكونية الخ .. وهو أفضل شاب عندى ».

ثم نظر الى ستيفن وقال :

ـ لقد جئت بأول مساعد لى ».

بجين ايرل :

ـ هيا لقد حجزت مائدة ».

وعلى الفور كان بيرتون هول فى منتصف الردهة . وصـــافح ستيفن طومبسون نعم انه ليتذكر هذا الشخص النحيف الصغير . ولكن من تكون جين أيرل هذه ؟ انه لم ير هذه الفتاة من قبل . لقد كانت شابة صغيرة . وبما فى الثانية والعشرين من عمرها ، وربما تكون جميلة انه ليس على يقين من ذلك ، ولكن المؤكد انها انيقـــة فى ردائها الاسود وقبعتها الصغيرة البيضاء . كانت هـــادئة وكان صوتها واضحا . وذهب اليها حتى كان على بعد خطوة منها ثم قال :

ـ انني لم اقابلك من قبل ، هل قابلتك ؟».

فقــالت :

ـ لقد قدمت الى هنا من نيويورك منذ اقل من شهر .. ولم يقابلنى احد .

وقرر فيما بينه وبين نفسه انها فتاة رقيقـــة وهادئة وليست لعوبا وما ان جلسوا جميعا حول المائدة حتى نسيها ، بالرغم من أنها كانت فى مواجهته بين بيرتون هول وطومبسون .

وقال بيرتون هول :

ـ لا تتحدثوا قبل ان تقرروا ماذا ستأكلون .. انني دائما افضل اللحوم المشوية .. وانتم ايضا .. اليس كذلك ؟ اذن أربعــة من اللحوم المشوية وسلطة خضراء وقهوة .. والآن ماذا أحـرزت من تقدم ياطومبسون باختراعك الذي يحطم الذرة ؟ ان السيكلوترون عبارة عن محطم ذي طاقة عالية للذرة بالطبع وذرات الديوترونات والبروتونات والالفا ما هي الا مقذوفات أما الذرات الأخرى فتتحول الى نظائر مشعة .. شيء رائع .. رائع جدا .

وقال طومبسون في صوت ضعيف جاف :

ـ هناك مساوىء ان النظائر يمكن ان تحطم الأنسجة الطبيعية وهذا يعني اننا لا نستطيع أن ندرس الكائنات الصغيرة أو الخلايا .

فاجاب بيرتون هول :

ـ احب دائما ان اتحدث عن المزايا ، فالاشعاعات عندما تتأين يمكن أن تحطم الأنسجة الضعيفة الضامرة .

ومضت المناقشة على هذا النحو العادي . ولم تقل جين ايرل شيئا . انها امرأة رائعة صامتة يمكن تجاهلها عندما يتناقش الرجال في سعادة . وانغمسوا جميعا في عالمهم ، كرجال علم ، كل منهم اقرب الى الآخر أكثر منه الى زوجتــــه وأولاده ، لغتهم سرية ، وعقولهم تنتظمها نغمة موحدة .

وتقدمت من الجميع فتاة شقراء مثيرة نصف عارية ، لعـرض عليهم بعض المنتجات . ورد بيرتون هول على ابتسامتها بابتسـامة واشترى منها بعض ما معها . أما الآخرون فقد رفضوا أن يشتروا شيئا . وجلس الجميع في صمت واخذوا يشاهدون العرض الذي بدأ على المسرح الصغير المقام في نهاية حجرة الطعام . وظهـرت ست فتيات في أردية فضية ضيقة وعلى شفـــاههن ابتسامات خفيفة .

وتطلع اليهن طومبسون ، ثم نظر بعيدا . اما ستيفن فكان يحتسي قهوته على مهل ، وهو يفكر في سخف مثل هذا الترفيه، بينما هناك في معمله اشياء واختراعات مثيره ، اما بيرتون هول فقد كان يحملق في هذه الفتيات . وشيء من السخرية ينطلق من عينيه الخضراوين ثم قال ، وهو يكاد يحدث نفسه :

ـ ماذا يعني عندما نستخدم حقا الانتاج الهائل لاستخراج هذه الطاقة من الذرة على نطاق واسع لنعطي العالم الحرارة والضوء .

فرد عليه طومبسون بقوله :

ـ او نقضي عليه .

وعلى الفور بادره بيرتون هول بقوله :

ـ انت دائما متشائم .

ثم تساءل ستيفن وقد رفع صوته ليطغى على الموسيقى الصارخة التي تصاحب الفتيات الراقصات :

ـ هل تفعل هذه اللجنة التي تنعقد في واشنطون شيئا .

فأجابه طومبسون :

ـ ان كل ما يجري سر بالطبع . ولكن لو كان حدث شيء هام لسمعنا عنه . واني لأرتاب في انهم ينظرون الى الامر بشكل جدي، ويجب علينا ان نفعل ذلك اذا صدقنا ما قاله زيجبي .

وضحك بيرتون هول وقال :

ـ هل قال لك شيئا ايضا ؟ ثم لأي شيء سنستخدم الطاقة اذن ؟ هل قال لك ؟ .

فقال ستيفن :

ـ اننا نستطيع أن نسير بها السفن ، أو نقسم بها اليورانيوم ٢٣٥ .

فردد بيرتون هول كلام ستيفن وقال :

ـ نسير بها السفن ! حسنا ، اخبره بكل شيء يا طومبسون .

وقطع حديثهم تصفيق حاد ، فقد انتهت الرقصة واخذت

الفتيات ينطلقن مبتعدات عن المسرح ، وحل محـــلهن ثلاثة من الاكروبات .

وقال طومبسون :

ـ اننا نعرف أن النازيين يعملون بنشاط وجد ، ولديهم رجال أكفاء ، وقد احرزوا تقدما كبيرا فى فصل نوعى اليـــورانيوم ، وصدقوني انهم لاينوون استخدامهما من أجل السلام .

وفجأة انبعث صوت جين الهادىء وقالت :

ـ هل يجب أن نناقش هذه الموضوعات هنا .

فتوقف الرجال عن مناقشاتهم على الفور ، وقال لها بيرتون هول :

ـ اشكرك يا جين . عليك أن تذكرينا دائما بذلك . اذن لنتقابل فى منزلى غدا مساء ، فسوف يعود طومبسون الى كاليفورنيا بعد غـد .

وساد الصمت ، وأخذ الجميع يزدردون طعـــامهم بسرعـة واهتمام . ثم احتسى الجميع القهوة ، وأخذوا يشـــقون طريقهم خارج الردهة ، ولكن ستيفن توقف قليلا عند قفص العصـــافير وشغل بها برهة ، كان هناك زوج من العصافير قد بنى عشـــا بين فرعين من فروع شجرة صناعيـــة ، وكانت الأنثى فى حالة من الضيق وترفض على مايبدو أن تجلس فى العش حيث توجـــد بيضتان . اما الذكر فقد كان نحيفا ومتغطرسا ، وكان يصـــرخ ويزمجر ولكن بلا فائدة وقفزت الانثى العنيدة الى حيث توجـــد الحبوب ، واخذت تبعثرها ذات اليمين ، وذات اليســار ، واخـــيرا جلس الذكر الثائر المتضايق ، وكان ما يزال يزمجر ، على البيض .

وسمع ستيفن بجواره من يقول :

ـ ياله من تعس ...

فتحول ببصره ليجد ـ وهو فى دهشة بالغـــة ـ عينـــين

سوداوين فى مستوى بصره تقريبا ترنوان اليه . كانت جين ايرل تقف بجانبه ، طويلة ونحيفة وهادئة . وقال :

ـ حقا انه لشيء سخيف ان اقف هكذا ، ولكن هناك شيئا جذابا فى هذه المخلوقات .

فقالت :

ـ انى احبها ، ويمكن أن اشاهدها لمدة ساعة ، بل لايضيرنى أن أقضى بعض يوم فى هذه المشاهدة .

وقال وهو يفكر :

ـ انى لاعجب كيف يحدث ذلك ؟.

فقالت :

ـ انها تحيا حياتها الخاصة البسيطة فى جد واهتمام ، بين كل هذا الضوء والبريق .

وقال لنفسه ان صوتها جميل دافيء .. وهذا هو الصوت الذى يجب أن تتمتع به كل امراة .. رقيق يتكسر فى عذوبة .

وعلى الفور سألها ، وقد نسى الطيور :

ـ كيف أصبحت عالمة ؟.

وضحكت :

ـ انى مهتمة فحسب .. وكنت دائما أهتم بالعلوم .

ـ فى العلوم ؟.

ـ اذا كان هذا هو ما تريد أن تسمى به اللهفة وحب الاستطلاع اللذين يدفعان الانسان ويسيرانه .

وضحكت واشاحت بهزة من يدها التى يغطيها القفاز . وابعد عينيه من قدها الرشيق . وكانت الكناريا الانثى فى القفص قد لانت ورقت ، فاقتربت من العش واخذت تنقر فى رفيقها . فنهض وقفز مبتعدا عنها بثلاث بوصات ، وحملق فيها بعنف من احدى عينيه ثم بالاخرى ، بينما كانت تستقر على البيض فى هدوء .

وحينئذ نفش ريشه وانطلق فى اغنية تحمل معنى الانتصار ؛
ومضى ستيفن . من الذى سينتصر ؟ انه لم يستطع ان يقرر .

وفى مساء اليوم التالى اعدت « مولى هول » مرشحا من القهوة الساخنة على المائدة فى حجرة المعيشة ، وعددا كبيرا من الاقداح والاطباق . وكذلك أعدت الساندويتشات والفطائر ومفارش الورق الوردية اللون . فالعلماء دائما جوعى — نحاف .. ان هناك حفلا الليلة من اجل «طومبسون» . وسوف يحضر الجميع ، ومعهم زوجاتهم وكذلك جين ايرل . ان بيرتون هول بالنسبة لها افضل زوج فى العالم . ولكنه ما يزال انيقا حتى انها لتضطر ان تراقبه . انها تذهب معه فى كل مكان ، فقط لتحميه . وهى تعرف واجبها . فالعلماء دائما مشغولون تائهون . وهم لا يعرفون متى تتودد اليهم المراة ، وعندما يعرفون يشعرون بالسرور العميق . ويمكن خداع بيرتون بسهولة . فهو يصدق كل شىء تقوله له اية امراة ، عندما يراها . ومضت الى السلم . ونادت بيرتون هول فسمعت [illegible] . فقالت :

— سوف اصعد اليك .. انني على ثقة من انني وضعته فى الدرج الذى فيه قمصانك الاخرى .

كان بيرتون هول يبحث عن قميصه ذى الخطوط الزرقاء المفضل لديه . ياله من طفل . ماذا كان سيفعل بدونها ؟ وفجاة دق جرس الباب واحتارت ماذا تفعل . ماذا يجب أن تفعل أولا ؟.

وصرخت وهى تسرع الى الباب :

— انتظر لحظة يا بيرت .

انه لابد أن يكون احد العلماء قد جاء فى موعده .. وهم دائما كذلك . وفتحت الباب لترى « ايرنست وينر » .. المانى .. اليس كذلك ، أو ربما يكون مجريا ؟ انها لا تستطيع أن تميزهم . وقالت له فى عطف :

— تفضل بالدخول ، سوف يحضر بيرت حالا .

واخذت منه قبعته التي هي عبارة عن حطام قبعة ، ان هـؤلاء الاجانب ليس معهم نقود .

وانهى ارتداء ملابسه وتطلع الى المرآة ليسوى شعره الاحمر الخشن . ودق جرس الباب مرة اخرى فاسرع يهبط الدرج وفتح الباب ، كان جميعهم قد حضر .. اخوته في العلم ، وكان يحييهم، وكانت زوجاتهم تسير وراءهم .

فصاح :

ـ ادخلوا تعالوا ايها الزملاء .. هناك قهوة وشراب .

وانضم اليهم وهم في حجرة المعيشة . وزوجاتهم تتبعهم .. ولكن جين ايرل كانت تسير وحيدة هادئة .

وتمتمت هيلين كوست التي كانت تتبع زوجها ستيفن ، في أذنه اليمنى :

ـ ان هذه تشبه حفلة لعب الورق .. ومن تكون هذه الفتاة السمراء الطويلة ؟ هل تعرفها ؟.

فقال ستيفن :

ـ جين ايرل .. ها هو «وينر» اني اريد ان أسأله عن شيء .

وترك زوجته وجذب كرسيا الى جانب «وينـــر» . وابتسم الرجل المجرى ، ومد يده اليمنى ، ولمس يد ستيفن وقال :

ـ ما أقوى يدك .

وضحك ستيفن واقترب بكرسيه أكثر وقال :

ـ هل قرأت التقرير الذى جاء من «فون هالبان» و«جولبوت» و « كوارسكى » ؟ .

فأومأ وينر ثم همس :

ـ ان هذه هى الخطوة الأولى ولكنها لا تبشر بالكثير .

واســتمر في كلامه ولـكن مولى كانت تحث الزوجات على الذهاب الى الشرفة . واخذت كل منهن وهى خارجة تنظر الى جين

ايرل التى كانت تجلس فى كرسى كبير أخضر اللون يتنـــاقض مع ردائها البنى المائل للصفرة . وكانت تبتسم لهن فى رقة كأنهـــا تعتذر .

ونهض بيرتون هول وذهب الى جين ايرل ودفع بكرسيها الى دائرة الرجال وقال :

ـ تقدمي .. انت تعرفين اننا لا نستطيع أن نستغنى منك ؟ هل تريدين أن تكتبى ملاحظاتنا ونحن نتحدث ؟.

ـ بالطبع ...

ثم قامت من مقعدها الوثير وأجلست نفسها على كرسى عادى الى المائدة . ومن حقيبتها البنية اللون اخرجت قلما وكراســـة صغيرة ثم ازاحت قبعتها الصغيرة من فوق رأسها . وكان شعرها يلمع بلون برونزى اسود فى ضوء المصباح أما بشرتها ـ وهـــذا ما لاحظه ستيفن فجاة ـ فكانت بيضاء كالقشدة .

وقال بيرتون :

ـ ماذا نعرف حقا عن الألمان ؟. وما الذى حصلوا عليه ؟..

فأجاب زيجنى فى صوت اجش :

ـ « هان » ان لديهم هان .. وهو يساوى عشرة من أمثالنا فرد عليه بيرتون . انني لا اقبل ذلك ، ثم ماذا يفعل هان ؟ هـــل يعرف اى واحد ماذا يفعل بالضبط ؟ .

وسعل « وينر » وقد وضع يده امام فمه ثم اردف :

ـ معذرة .. انني إعتقد ان مثل هذه الأشياء ليست هامة ، ما يفعله واحد وما يفعله الآخر . اننا فى سباق .. كذلك فان كل واحد يفعل شيئا لنصل الى الهدف ، ولكن ما هو الهـــدف ؟ انه الانقسام ـ انقسام النواة ـ فى تفاعل مستمر . وانني أرى اننا على وشك ان نكتشف ذلك . فاذا أمكن فصل اليورانيوم ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨ فسوف نصل الى الهدف .

وانبرى طومبسون يقول :
ـ موافق .. فالقوة المتفجرة ستكون اقوى مائة مليون مرة من ت.ن.ت . ولكنها أكثر تعقيدا مما يعتقد فيرمى .

فقال زيجنى :
ـ ان كل شيء بسيط وسهل اذا وجد عقل مثل عقل فيرمى »

واحتدمت المناقشة وتطورت .. كما هو متوقع .. الى جدل علمى .. وظهر الاهتمام والجد على الوجوه . ولـكن حين كانت تعبث فى حقيبتها لتخرج نسخة من خطاب وصلها من صديق لها فى لندن . وقد جاء فى هذا الخطاب :
ـ انه ليبدو من الممكن ان نواة اليورانيوم ليست ذات شكل ثابت تماما ، وقد تقسم نفسها .. بعد استغلال النيوترون .. الى نواتين صغيرتين متساويتين .
وتطلعت اليهم ورات عينى ستيفن مركزتين عليها . ثم قالت :
ـ اليس هذا هو الانقسام . وهم يقولون فى الخطـاب ان العناصر الناتجة عن ذلك مشعة .
وكان الجميع ينصت فى اهتمام . ولكن « ويتر » انبرى بعد تردد ليقول :
ـ ليس هناك اهمية فى ذلك ما لم يؤد أحد الانفجارات الى الآخر .
وصرخ بيرتون هول موجها كلامه الى طومبسون :
ـ الا تعرف اننا لا نملك ما يكفى من اليورانيوم كما اننا لا نملك من الماء ما يكفى الثقيل . والله ـ أو الشيطان ـ يعرف وحده ماذا يفعل الألمان بالماء الثقيل فى النرويج ؟ . ثم ماذا عما نفعله الروس واليابان ؟ .
ولم يكمل اذ سمع زوجته تناديه .. تساله عما اذا كانوا على استعداد لتناول المرطبات .
وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة .. فاوما فى عنف ووثب عبر الحجرة ووقف وظهره الى الباب .

ـ تعرفون أيها الزملاء أن هذا سرى جدا .. ويجب أن نفكر فيما نفعل .

فقال ستيفن .. يجب أن نبلغ الحكومة عن مخاوفنا .

فأردف طومبسون . لاريب فى ذلك .. ولكن الا ننتظر حتى ينتهى المؤتمر ؟ فسوف يكون لدينا حينئذ الكثير الذى نقوله ذلك لاننا سنعرف الكثير .

فقال بيرتون :

ـ ليس من الورق الذى يقرأ علينا .

فاقترح وينر :

ـ ولكن يجب ان نعقد مباحثات خاصة . اما من نفسى فسوف التحدث مع بعض العلماء الأجانب . ويمكن أن اجد بعضهم . وسوف يبلغوننى باسرار يريدون ان يعرفها الأمريكيون .

ووافق بيرتون بقوله :

ـ بعد المؤتمر .

وكانت زوجته تنقر على الزجاج وراء ظهـــره الذى يرتكن الى الباب .

وفتح الباب ودخلت النسوة . وتخلل الجو المتوتر الذى كانوا فيه وتحول الى أصوات وكلمات وحركات ورائحة القهوة الساخنة .

وبعد ساعة ، وبينما كان ستيفن يقود عربته عائدا الى البيت وبجواره زوجته فى معطفها سمع زوجته تتمتم وهى نصف نائمة !

ـ ماذا فى هذه المرأة لا أتمتع به انا ؟

فسألها وهو فى شبه غيبوبة :

ـ اية امرأة ؟

ـ اذا لم تكن تذكر فسوف اذكرك . ثم راحت فى النوم مرة أخرى .

وفى الصباح استيقظ من نومه مبكرا . وكان ذهنه صافيا ، وكانت الافكار تتابع الواحدة بعد الأخرى . كان يفكر فى العالم اليابانى الذى اجبر الجميع على احترامه ، والذى يعمل فى نظريات تتعلق بالعنصر الجديد فى نواة الذرة . ثم راح فكره الى العالم النمسوى وفى كل ما يقوم به هؤلاء جميعا . كان فكره يتجول فى سبحانه وحده بينما كان جسده ـ بسبب العادة ـ يقوم بمهامه الضرورية . فقام بتنظيف أسنانه ، واستمتع بحمام الصباح ، وحلق ذقنه واخذ يرتدى الملابس النظيفة التى وجدها معدة له على الكرسى ، ثم عقد ربطة عنقه . وبعد ان ارتدى ملابسه وتأنق ، هبط الدرج الى حجرة الطعام . واستطاع ، من بعد ، أن يشم رائحة القهوة ، وعندما وجد القدح مليئا اخذ يحتسيه . كذلك شرب ـ وهو لا يعى ما حوله ـ كوب عصير البرتقال ، ثم التهم قطعة من اللحم وبعض البيض وقطعة من الخبز الناشف وقدحا آخر من القهوة . وتقبل جسمه هذا كله وتشربه وامتصه . وبعد أن تغذى واستدفأ نهض من كرسيه ، ووضعه فى مكانه ، وسار عبر الحجرة الى الصالة ووجد قبعته ومعطفه . واستطاع فى هذه اللحظة فقط أن يتبين انه تناول وجبة كاملة طيبة . وتردد برهة ثم عاد الى الباب وتطلع عبر الحجرة . وتملكته العادة مرة أخرى ـ عادة طفل مهذب وصوت امه يعلمه ـ يجب أن تقول دائما اشكرك يا سيدتى .

وقال :

ـ اشكرك .. اشكرك جدا .. لقد استمتعت بالوجبة .

وذهل اذ سمع ضحكات متصلة ، صافية وساخرة ، عبارة عن مزيج من الفرحة والتأنيب :

ـ ستيفن .. ماذا دهاك ؟

وتنبه .. واستعاد وعيه .. لقد كان فى مواجهة زوجته هيلين التى يتناول فطوره معها كل يوم .

وسألته :

ـ اتعرف اين انت ؟.
ـ بالطبع اعرف .
ـ قل لي اين انت ؟.
وتلفت في انحاء الحجرة وتعرف عليها؟ :
ـ اني في المنزل .. فاين ساكون ؟.
ـ اذن لماذا تتوقف على باب بيتك وتشكرني على الطعام .. !! تذكر انك رايتني من قبل ؟.

وتنهد وشعر بالخجل ثم ضحك ..
ـ الا تغفرين لي ؟ .
ـ ستيفن !.
ـ لا اعرف لماذا تزوجتني ؟ .
ـ كنت اريد .. هذا شيء فظيع .
ـ امتاكدة انت ؟ .
ـ كيف اتاكد ؟!.
وارتمت بين ذراعيه لم انسحبت منهما ، وهي تصلح ربطة عنقه ، وتفرق شعره بسبابتها في رقة ..
وقال متمتما :
ـ اكره ان اتركك ..
فقالت :
ـ ولكن يجب ان تتركني .. انني اعرف ذلك جيدا .
وابتسمت له ابتسامتها الرائعة الجميلة .

***

بعد ستة شهور وفي منتصف الصف السادس في قاعة المؤتمرات كانت جين ايرل تجلس محشورة بين اثنين ، يتصببان عرقا ، من الاوربيين اللذين لم يعتادا على الجو الحار في امريكا ، وكان بيرتون هول يقف على المنصة يتكلم ويقول :

ــ ان العمل بالنيوترونات البطيئــة ســوف يسبب انقسام اليورانيوم ٢٣٥ والمشكلة هى ان اليورانيوم ٢٣٥ أقل من واحد فى المائة من أية عينة من اليورانيوم العادى . ومع ذلك فاننـــا نعرف الآن ، والفضل لتكهنات « فيرمى » ، انه من المحتمـــل أن يمتص اليورانيوم ٢٣٨ ــ وهو كثير ــ بعض النيوترونات البطيئة . وعلاوة على ذلك فان ذرة واحدة من كل مائة وأربعين فى اليورانيوم ٢٣٨ هى عبارة عن يورانيوم ٢٣٥ . ونحن نعرف أن اليــورانيوم ٢٣٥ سوف ينقسم بفعل النيوترونات السريعة وكذلك بفعل النيوترونات البطيئة . ولست بحاجة لأن أقول لزملائى العلماء ما يعنيه هذا . فان عقولكم لتسبق عقلى بمراحل . نعم .. سوف توجد الطــاقة الذرية من انقسام اليورانيوم ٢٣٥ بالنيوترونات البطيئــــة ، أو توجد تفاعلا متسلسلا بالنيوترونات السريعة . وسوف يؤدى الأمر الثانى الى انفجار والسؤال الآن هل يمكن السيطرة على هـــذه الطاقة المتفجرة ؟.

وحينئذ سمعت جين بجانبها صرخــة الم مكتومة . واختطف الرجل الأصلع منديله من جيبه واخذ يجفف عرقه . ومال لــكى يتحدث مع زميله الذى يجلس الى يسارها وقال :

ــ هانز .. ماذا يجب أن نفعل معهؤلاء الأمريكيين وهميذيعون أسرارهم فى كل مكان ؟.

ــ ربما أصبح الوقت متأخرا الآن .

واعتذر كل منهما لجين .. ولكنها قالت :

ــ انى مهتمة بما قلتما . هل تعتقدان انه لا يجب أن تكــون هناك مثل هذه المؤتمرات كتلك التى نعقدها الآن ؟.

ــ بكل تأكيد . لا يجب أن يكون هناك مزيد من هذهالمؤتمرات .. انها خطيرة .

ــ اؤكد لك يا آنسة أن الالمان يعكفون فى جد بالغ على صــنع الأسلحة الذرية . فلماذا تجاهلوا السويد وذهبوا الى النرويج ؟ ان النرويج هى التى لديها الماء الثقيل الذى يحتاجونه ..

وما ان فرغ بيرتون هول من حديثه حتى أسرعت اليســنه .. وعندما رآها على هذا النحو من اللهفة قال لها :
ـ ماذا هنالك ؟.

ـ حاولت أن الحق بك قبل أن تهرب .لدي شيء اريد ان اقوله لك قد يكون مهما وقد لا يكون مهما .
ـ تعالي لتناول شيئا من الشراب .

وتبعته في هذا الجو الخريفي البارد .. الذي عدلت منه في ذلك اليوم أشعة الشمس الساطعة . وجذب بيرتون نفسا عميقا ثم آخر .. وأخيرا قال :

ـ انني أحب زملائي العلماء .. انني احبهم بعمق ولــكن ما أستخفهم عندما يلقون الخطب ..

ـ انني لا أعرف لم تفعلون ذلك .. انكم جميعا سواء . وانت تعرف ذلك ، وانتم لا تخدعون احدا ولا حتى انفسكم .

ونظر اليها من قامته الطويلة ولمعت عيناه الخضراوان بومضة مباغتة ثم سألها :
ـ متى ستستسلمين ؟.
ولكنها تغاضت عن سؤاله هذا وقالت :
ـ ان ما اريد أن أقوله لك ..
فقاطعها بقوله :

ـ ان ما اريد أن أقوله لك يا فتاتي الطويلة هو انني اريد ان انام معك .

ولم تأبه .. ولم تحاول أن تسأل نفسها هل هو جاد ام لا .. انها تريد أن تقع في الحب ولكنها لم تحب بيرتون هول . وتجاهلت نظراته الملتهبة واستطردت :

ـ كان يجلس بجانبي اثنان من العلماء الاجانب ولم يتفقا معك لانك كنت تناقش امورا يعتقدان انه لا يجب ان تناقش هنا . واشعر

بأنه يجب على أن ابلغك بذلك ، بالرغم من انك تعرف ما هي وجهة نظرهما .. عن اذنك .. لدى موعد على الغداء .

ـ مع من ؟.

ـ ليس هذا من شانك .

قالتها في رقة ثم تركته بغتة هناك في منتصف الممر .

ودخلت المطعم وهي تحس بشعور غامض بالذنب . فقد كان آباؤها يصرون على أن الكذب من الخطايا السبع ولم يكن لديها اى موعد سوى الأمل .. الذى انكرته .. في أن يكون «ستيفن كوست» هناك . فقد كان هناك في يوم من الأيام قبل أن تقابله . وكانت قد حضرت في ذلك اليوم مع « توماس فريتز » العالم الألماني للكيمياء الحيوية .

وسألها « توماس فريتز » :

ـ هل تعرفين هذا الرجل الجالس هناك ؟.

فنظرت ثم هزت راسها . فأردف :

ـ انه ستيفن كوست .. وأرجوك الا تنظرى الى هاتين العينين لأنك ستجعليننى اشعر بالغيرة .. ولا اعرف ماذا سافعل عندما اشعر بالغيرة لأننى حتى الآن لم أجرب هذه العاطفة .

وابتسمت حينئذ ونظرت طائعة ، وهي دائما تحذر مثل هذا الحديث من اى عالم ، انهم مثل الاطفال . وهي لم تجرب الحب . ومع ذلك لو لم تقابل «رامان» هل كانت ستصبح عالمة ؟ سؤال لا يمكن الاجابة عليه .

واجلست نفسها الآن الى نفس المائدة الصغيرة التى رأت منها لاول مرة ستيفن كوست وكان الوقت ظهراً ، وكان المكان نصف خال . ولم يكن هناك . وخلعت قفازها ونظرت الى قائمة الطعام . كانت سعيدة لأنه ليس هناك . فلديها الكثير الذى تفكر فيه الآن دون تعقيدات اية عاطفة جديدة . انها لا تريد أن تتورط .. كانت هذه اهم ضرورة لديها .

وقالت للجرسون :
ـ سمك وسلطة خضراء .. واحضر لى قهوة الآن .

ثم اخرجت من حقيبتها كتابا بعنوان « مدام كودى .. تاريخ حياة » وبدات تقرا فيه .. وبعد قليل سمعت صوتا يقول :
ـ هل اجلس هنا ؟

وتركت الصفحة التى كانت على وشك ان تقلبها ثم اشرابت تنظرها لتجد ستيفن كوست واقفا يتطلع اليها عبر المائدة. فقالت:
ـ تفضل ..
ثم اغلقت الكتاب واستطردت :
ـ عادة ما اقرا وانا آكل ، اننى سعيدة اذ أجد احدا اتحدث اليه .
فرد عليها بقوله :
ـ طالما اننا سنعمل معا .. فمن الواجب ان نتعرف .. هل أمرت باحضار الطعام .

فاجابت بالايجاب .. وحينئذ نادى الجرسون وطلب منه أن يحضر بعض اللحوم المشوية مع بعض البطاطس المحمرة وفاصوليا خضراء وقهوة .

وشعرت بالارتياح .. فالآن وهو يجلس امامها ، ويمكنها أن تتطلع اليه ، لم تعد تشعر بأى احساس نحوه . انه جميل الطلعة .. جميل الطلعة بكل تاكيد ، وهى تحب العيون السوداء والشعر الأسود والبشرة البنية الرقيقة . وربما كان السبب فى ذلك انها قضت طفولتها فى الهند ، ولكن الالتصاق الخطير الذى شعرت به نحوه فى افكارها قد ارتعد . لقد كانت حذرة . انه عالم شاب .. موهوب جدا .. وهى تعرف ذلك .. وقد قالوا لها جميعا يجب ان تشاهدى ستيفن كوست الشاب .. وقد اصر بيرتون هول على ان يعمل فى المشروع . ولكنها لا تشعر بأى شوق لأن تلمس يديه المتشابكتين على المائدة وهو يرتكن عليها لينظر اليها .

وقال لها :
ــ انني سعيد لأنك ستكونين معنا حيثما ذهبنا .
كانت ابتسامته صريحة رائقة ، وكانت أسنانه بيضاء . ثم اضاف :
ــ أود أن تتعرفي على زوجتي هيلين . وآمل ان تصبحا صديقتين .
وجذبت نفسا عميقا .. لا .. انها في مأمن .. ثم قالت :
ــ انني افضل أن أعرفها أكثر .
ثم أبعدت الزهرية التي تحتوي على ورود حمراء الى جانب من المائدة . واضافت :
ــ من بين مساوىء كوني عالمة انه ليس لي الا قليل من الصديقات .
فسألها في لهفة :
ــ اخبريني .. انني جد شغوف .. كيف أصبحت عالمة ؟ انه شيء غير عادي بالنسبة لامرأة ان ..
ــ يبدو كذلك .
وسقطت من احدى الورود بعض أوراقها . وسحقتها بين أصابعها ولكن لم يكن لها أريج .
واستطردت تحكي قصتها :
ــ لقد ترعرعت في الهند .. كان أبي مهندسا هناك يعمل في القوة الهيدروليكية . وذهبت الى مدرسة انجليزية ولكن مدرسي المفضل كان شابا انجليزيا هنديا قدم لتوه من اكسفورد . وكان يدرس لنا العلوم . واعتقد انني كنت ذات دالة عليه . وكانت معظم الفتيات كذلك ... ولكن هذا على الأقل جعلني أعمل بجد من أجله . وفجاة تبينت انني احببت العلوم بغض النظر عنه . وانتهى بي هذا الأمر الى دراسة الطبيعيات . ودرستها في « رادكليف » ، وبعد ذلك مع « فيرمي » في كولومبيا . وقد كان هو وبيرتون هول

صديقين .. واستعارني بيرتون هول لكي اعمل في المشروع هنـا في شيكاغو .. حكاية بسيطة كما ترى .
فقال :
ـ انني ارى انك لست بسيطة .
وابتسمت له في حياء وقالت :
ـ كلنا كذلك .. اذا شعرت نفسي في الاخوة النبيلة .
وفجأة احمر ستيفن خجلا وهو يقول معترفا :
ـ اننا اصحاب عقلية منفردة . اتعرفين ماذا فعلت هذا الصباح ؟ لقد كنت افكر في معادلة عندما كنت ارتدى ملابسي ونسيت كلية اين انا .. وهبطت الدرج ، وتناولت فطوري ، ثم شكرت زوجتي على هذه الوجبة الطيبة وقد انطبع في ذهني انني سوف اتغدى في مكان ما . ومن حسن الحظ انها فهمت كل شيء .
وشاركته ضحكته وشعرت بغصة . الزوجة التي تفهم كل شيء . ثم قالت في هدوء وجد :
ـ انك محظوظ .. فان كل النساء لا يستطعن ذلك . وليس هذا من اليسير مالم يرتبط الواحد الى الجماعة التي حوله .
وقال ستيفن :
ـ انك اول امرأة عالمة اقابلها في حياتي .. فهل انت تختلفين عنا لانك مجرد امرأة ؟ وهل يهم الجنس الى هذه الدرجة حتى في العلم ؟ .
فاجابت :
ـ سوف اترك لك هذا الامر لتكتشفه .
ورات في عينيه اعجابا حذرا فابتسمت له على غير ارادتها
وظهر الخرسون ومعه الطعام .. وبدآ ياكلان .. وفجاة قال ستيفن
ـ شيء واحد يضايقني .
ـ ما هو ؟ .

ـ التى ضد السماح باستخدام هذه ... هذه الاكتشـافات الذرية ..

ـ اعرف .. لا داعى لأن تذكر الـكلمة كلها .

ـ فى الحرب .

ـ هل انت من دعاة السلم ؟

ـ لا لست كذلك .. وهذا هو الشيء الغـريب . انني فى الحقيقة واقعى . لقد تعلمت الملاكمة فى يوم من الأيام فى السر . كان أبى من رجال الدين . اننى لا أريد لهذه القوة الجـديدة ان تستخدم فى الدمار الوحشى . انني أريد أن أخصص نصيبى فيها للتنوير ولخير البشرية .

ـ ولكن لم تخش أن تقول انك تريد الخير ولا تريد الشر ؟.

فتمتم قائلا وهو يهجم على قطعة اللحم المشـوى امامه مرة اخرى :

ـ تبدو شيئا كبيرا طنانا .

ـ ليست شيئا طنانا .. انها أمانة .

ـ اعتقد انك على حق . ولكننا هنا فى امريكا نخجل اذا بدونا اننا نعمل الخير ..

ان هناك كثيرين من المدعين .

ـ لست مدعية .. وانت تعرف ذلك . وهكـذا الحال بالنسبة لى .

ومرة اخرى زحف الدفء الخطير على قلبها . وتطلع اليهـا ستيفن وعندما تلاقت عيناها بعينيه تاه عقلها .. وقالت :

ـ لا ادرى كيف اقول لك ماذا يعنى أن يجد الانسـان فى شخص مثلك ـ عالما ـ ويدعو للخير .. ويجرؤ أن يقول ما يشعر به كانسان .

وشعرت انها تحدثت كثيرا .. وشعر ستيفن بالخجل .. وقال:

ـ ليس هذا نادرا جدا كما تعتقدين .

وسكتت ليستقر الصمت بينهما كستارة . ويجب عليه هو أن يقوم بالخطوة التالية .. فسألها بعد لحظة :

ـ هل قرأت تقرير «ماكميلان» و «ابلسون» ؟ ..

فقــالت :

ـ نعم .. العنصر ٩٣ ولكن الشيء المهم هو أن هذا الاكتشاف واحد من سلسلة الاكتشافات .. لسوف نكشف عن عنصر بعد آخر في عملية سريعة من الخلق في السنوات العشر القادمة . لقد فتحنا صندوقا من الأسرار .

وشعر كل منهما بالارتياح مرة أخرى . لقد خبا الدفء والعاطفة التي تملكتها .. انها لن تقع في الحب . فشكرا لله .

وفي المساء . وفي بيته . شعر ستيفن بذنب غامض . وتفحص ما في ذاكرته مما حدث في أثناء النهار وتحول الى زوجته وقال :

ـ على فكرة .. لقد تناولت غدائي مع هذه الفتاة البحرينية

فسألته هيلين :

ـ أية فتــاة ؟ وكانت في هذه الأثناء تقطع أوراق الخس من أجل السلطة .. وهذه مهمة بسيطة تمقتها كثيرا ..

وقال ستيفن :

ـ هذه العالمة الشابة ..

فتمهلت قليلا ثم قالت :

ـ تذكرت .. ولكن ماذا تناولت في الغداء ؟..

فأجاب :

ـ لحم مشوى ..

فدارت حوله وقالت :

ـ كيف تجرؤ على ذلك ؟ انك تعرف انني دائما أعد اللحم المشوى يوم الأربعاء للعشاء .. حتى يقويك بقية الأسبوع ..

ونظر اليها ببلاهة وقال :

ـ هل اليوم هو يوم الأربعاء ؟ .

فدقت بقدمها اليمنى على الأرض وقالت :

ـ بالطبع .. يوم الأربعاء ..

فقال ستيفن :

ـ يا الهى .. مرتان فى يوم واحد الصرف فيهما كالابله

ثم اخرجت الشواء وقربته منــه حتى يشمه ثم أبعدته .. وقالت :

ـ لن ناكله ، ولن اصنع السلطة .. يجب ان نتعشي « عجة » وبعض البطاطس المتبقيــة . وآمل أن تصبح بدينا وقبيحا حتى لا تتطلع اليك أية فتاة .

واخذ ستيفن يفكر .. ان النساء يجب ان يكن فى حالة انفصال عن الرجال مثل العناصر فى المعمل . فهذه العناصر ـ وهى منفصلة ـ تكون عبارة عن كتلة آمنة يمكن التحكم فيها ، ولكن عندما تمتزج تحدث انفجارا . ولكن هل جين ايرل امراة فقط ؟ ربما من الأفضل أن ينظر اليها على أنها كتلة معروفة ، عالمة نقية ان لم تكن بسيطة . وفجاة شم رائحة البيض المحترق واستمر يداعب زوجته ويهدىء منها .

وفى المكتب الصغير بجوار المعمل ، واجــه بيرتون هول هؤلاء العلماء الاجانب . وسالهم :

ـ ماذا استطيع ان افعل لــكم أيها السادة ؟ .

ونظر كل منهم الى الآخر ، وكل منهم يحاول أن يتجنب الرد على سؤاله .. ولــكن « وينر » استطاع فى النهاية ان يكسر هذا التردد ويقول :

ـ اننا نعرف مدى انشغالك .. ولقد جئنا اليك ونحن نتردد كثيرا .. ولــكننا نعرف أيضا نفوذك الــكبير فى واشنطن .. فلو تفضلت واتصلت بالرئيس ..

وكان يعرف ماذا يريدون .. انهم أكثر النــاس تصميما .. واكثرهم صلابة . وقال :

ـ ايها السادة .. انني لا استطيع أن اســير الى مــكتب الرئيس ..

وقاطعه زيجنى قائلا :

ـ لا .. لا .. اننا لا نطلب ذلك . وربما يجب ان تذهب أولا الى العسكريين ؟.

فقال بيرتون :

ـ اننى كعالم . لاصلة لى بالعسكريين .. انها مسألة كرامة بالنسبة لنا .

فتدخل زيجنى يقول :

ـ انك اذا كتبت خطابا فسوف أطلب من فيرمى أن يأخــذه بنفسه .

فقال فى قوة :

ـ ان فيرمى ليس فى حاجة الى خطاب منى .. ان كل واحــد يعرفه .

ثم انه وقد شعر بالضيق وافق على أن يكتب الخطاب ونادى سكرتيرته واخذ يملى عليها صيغة الخطاب :

ـ ان احتمال التفاعل فى الطاقة النووية مؤكد الآن . ولكن بقيت التجربة فقط حتى يمكن التحكم فيها قبل أن نصنع القنبلة الذرية .

ثم وجه كلامه الى السكرتيرة :

ـ لا .. لا .. اشطبى ذلك واكتبى « اذا استخدم اليورانيوم كمتفجر فسوف يفجر طاقة فى الرطل تعادل ملايين المرات الطــاقة التى يفجرها اى متفجر معــروف .. واشعر انه بينما تقف كل الاحتمالات فى معارضة ذلك ..

وهنا نهض زيجنى ليقول :

ـ لا . ان الاحتمالات ليست ضد ذلك . اننا نعلم ان جوليوت كورى فى فرنسا وكذلك العلماء الالمان يعملون فى انشطار نــواة الذرة حاليا .

ونظر بيرتون الى سكرتيرته وقال :

ـ أين كنت .. ثم اخذ يكمل الخطاب وامرها ان تنسخه على

الآلة الكاتبة .. ثم تحول ، بعد أن خرجت السكرتيرة ، الى ضيوفه وقال :

ــ هل قرأتم ما كتبه ماير « وانج » فى العدد الأخير من « فيزيكال ريفيو » ؟ »

وأومأ الجميع . ثم قال زيجنى :

ــ نيوترونات متأخرة .

وانبرى على الفور بيرتون هول يقول :

ــ هذا يعنى أن أمامنا حدا للتحكم قبل الانفجار .

وصفق « وينر » فى هدوء وأضاف :

ــ بالضبط .. ولنأمل أن يكون النازيون لم يكتشفوا ذلك أيضا ..

فتأوه زيجنى وقال :

ــ ياسخف مثل هذا الأمل .

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع وافق بيرتون هول على ما قالوه .. لقد وصل ضمن بريد الصباح رد من واشنطن يقول :

ــ اننا نقدر اهتمامكم بقضية العلوم الذرية .. ولكن ..

وفى حالة من الغضب والهياج قفز بيرتون هول من فوق كرسيه وأخذ يسير فى القاعة .. والخطاب المفتوح يتطاير فى يده ، ليجد ستيفن فى المعمل . وصرخ فى وجهه :

ــ استمع الى ذلك ..

وأخذ يقرأ الخطاب فى صوت مزمجر ، وكان يهدأ فى بعض الفقرات ليركز على كل مقطع وبعد ذلك مزق الخطاب .. والقى بنفسه على كرسى عال فى المعمل وتنهد وهو يقول :

ــ ان هؤلاء العلماء الأجانب على حق .. انهم على حق دائما .

ثم سأل ستيفن فى عصبية :

ــ أتعرف ماذا قال الأدميرال فى واشنطن ؟ »

فقال ستيفن :

ــ كيف أعرف وانت لم تبلغنى بشىء ؟ »

فقال بيرتون !

ـ لقد ابلغ فيرمي .. انريكو فيرمي العظيم .. ويمكن ان اقول انه اعظم من اينشتين في بعض الوجوه ـ في الطرق العملية ـ اى فى العلم التطبيقى . فهو ميكانيكى من الدرجة الأولى وهو ايضا عبقرية علمية . فهو يستطيع ان يصنع الأدوات التى يحتاجها عندما يريد ذلك ـ وهو يعرف ما يريد تماما .. لقد اوضح فيرمى لهؤلاء الحمقى انه من الممكن الحصول على الطاقة الذرية من الانقسام بالنيوترونات البطيئة ، ويمكن ان نصنع قنبلة ذرية بالنيوترونات السريعة .. وقد قال هؤلاء لفيرمي ان الحرب تمضي على ما يرام ، وعلى اية حال فان هذه الاسلحة العملية الجديدة لا يمكن الحصول عليها فى حينها . اننا نتوقع النصر قبل مضي فترة طويلة .. كما لو ان النازيين لا يصنعون الخطط لنسفنا جميعا فى ظهيرة الغد ان امكن ذلك .

ودق التليفون واختطف بيرتون هول السماعة . وكان صوت زيجنى يتردد عبر الاسلاك .. واجفل قليلا ثم ابعد السماعة مسافة ثلاث بوصات عن اذنه .. ثم سمعه يقول :

ـ نعم . اعرف .. وماذا استطيع أن افعل . اذهب مباشرة الى الرئيس ولكن كيف ؟. ان حوله كثيرون .. وجميع الاقطاب فى واشنطن او تمبكتو .. وهم يعرفون فقط ما يبلغون به . ربما . قد يكون اينشتين . ولكن دعه يبلغ الرئيس ان الانقسام لن يسير فحسب سفنه الكبيرة ولكن هذا الانقسام سوف يصنع القنابل .. والقنابل الرهيبة . فقنبلة واحدة يمكن أن تنسف ميناء نيويورك وابلغه ان النازيين يعرفون ذلك . او اكتب كل هذا فى خطاب .. فى شيء يقرأه .. انه لا يستمع الى صوت اى انسان سوى صوته هو .

والقى بسماعة التليفون ثم تأوه بصوت عال وهو يقول :

ـ زيجنى مرة أخرى . يريد أن يذهب اينشتين مباشرة الى البيت الأبيض . وانت تعرف أن اينشتين يتحدث برقة بالغة حتى انه لا يمكن أن يذهب بشخصه . وبالاضافة الى ذلك فان انجليزيته غريبة . ان الانسان يحب أن يستمع الى لهجته بدلا من أن يستمع الى ما يقوله . ومن الافضل ان يكتب كل مايريد . يا الهى .. يالضخامة الاموال التى لابد منها لانجاز هذا كله .

وساله ستيفن :

ـ من اين ستاتى هذه الاموال ؟.

فرد عليه بيرتون :

ـ ممن ستاتى سوى من الحكومة ؟ فليس هناك من لدنه ما نريده من اموال ..

فقال ستيفن الذى يحترم المال ولكنه يحاول ان يتجاهل ذلك :

ـ تعنى ملايين الدولارات ؟.

فاجاب بيرتون هول فى غيظ :

ـ بل بلايين الدولارات .

وساد بعض الصمت الذى قطعه ستيفن بقوله :

ـ لا استطيع أن أفكر فى بلايين الدولارات .. فقط افكر فى بلايين الدرات ..

فرد عليه بيرتون فى عدم اهتمام :

ـ نفس الشىء .

ثم نظر الى ساعته واضاف :

ـ لقد حان وقت العشاء .. ان مولى تنتظرنى .

ثم انزلق من فوق الكرسى ، وسار خارج المعمل .. وانغمس ستيفن يفكر لمدة خمس عشرة دقيقة كاملة ، واخرجه من هذا التفكير فجاة فتح الباب الذى يؤدى الى المعمل المجاور . ورفع راسه . كانت « جين ايرل » تقف هنالك فى معطفها الأبيض . وواجهت عينيه المحملقتين ثم تراجعت الى الوراء واغلقت الباب برقة . ومع ذلك تبعثرت افكاره ونهض واخذ سحث عن حقيبته .. وتوقف

ليتفحص رغبـــة مباغتة اكتشفها في تلك المنـــاطق التي نادرا ما يكتشفها داخـــل نفسه ، رغبة مبـاغتة في أن يفتح البـــاب مرة أخرى ..

وهز راسه وقال لنفسه أنه من الأفضــل ألا يفعل .. ولكن لم تعمل هنا في المعمل المجاور لعمله ؟ . ومن أمرها بذلك ؟ .

ووراء الباب المغلق كانت جين ايرل تواصل تجربتها الجديدة . ظلت تعمل طيلة ساعتين كاملتين ثم سجلت النتيجة في مذكرة بخطها الصغير المنمق . وقالت لنفسها « يبدو واضحا ان سيبورج وماكميلان وكنيدي و « وال » على حق . ومن المحتمل أن يكون البلوتونيوم هو المادة التالية للتجربة .

وأغلقت المذكرة ، وخلعت معطفها القطني الابيض الطويل وأخذت تمشط شعرها . ثم خرجت لتناول الغداء . وتركت المطعم الذى قابلت فيه ستيفن وذهبت الى مكان آخر وجلست في الكرسى الخالي الوحيد وطلبت لبنا وبعض الساندوتشات .

انه بناء على حافز ودافع خطير طلبت أن تنقل الى معمل « ب » على رغم ـ ولتكن امينة مع نفسها على الأقل ـ ان المفاتيح الكهربية ذات فولت أقوى من تلك التي توجد في المعمل الذى عينت فيه أولا .. ولكن السبب الحقيقي ، وهو مختلط بالدافع العاطفي ، هو أن ستيفن يعمل في معمل « ا » . انها تسمح لنفسها بالحمق مرة أخرى . كما لو أنها لم تع الدرس بمرارة في الهند . فالعيون السوداء التي تطل من وجه رجل ، وجسم الرجل القوى الرشيق والعقل المتألق الذى يتحدث بلغة تدركها وتفهمها ، كل هذه الأشياء اقسمت هي أن تقاومها في الهند وفي أى مكان آخر في العـالم .

وبينما هي تذكر ذلك في غضب فتحت الباب ورأت ستيفن كوست وبسرعة اغلقت الباب مرة أخرى .

وهمست من بين أسنانها . التي لحمقاء . ولكن هل هي حمقاء لأنها فتحت الباب أم لأنها أغلقته مرة أخرى ؟ وقالت لنفسها لا داعي للسؤال ومن ثم لا داعي للاجابة .

وتغلبت على افكارها العنيفة وطردتها كما تطرد أعداءها ثم

عادت الى أصدقائها العاديين ، الذرات ، هذه الوحدات التى لا ترى ولا يمكن رؤيتها من وحدات الحياة ، والتى بكمياتها الهـائلـة وطاقاتها اوجدت الكون . لقد اصبحت مخلوقات حية فى خيالها ، كل منها يحتوى على عالمها كاملا داخل نفسها . وقد أصبح واضحا الآن انها اذا تحركت وهى متحدة بجاه نقطة انفجار حرارية ، فسوف تخرج منها قوة لم تعرف من قبل . انه التفاعل المتسلسل .. ان النيوترونات السريعة سهلة ولكن عندما لايمكن التحكم فيها فانها تنسف الكرة الأرضية كلها . لابد ان يكون هناك تحكم فيها وسيطرة عليها . وترددت هذه الكلمة فى اغوار عقلها كقرع الاجراس .

وفى طريقها الى خارج المطعم اشترت احدى الصحف . واسترعت انتباهها العناوين ووقفت عند الباب تقرأ « واشنطن فى ٢٤ ابريل — أن علماء العالم فى سباق دولى اليوم لحل لغز سوف يسفر عنه انفجار تعادل قوته مائة مليون مرة قوة ت.ن.ت . او اى متفجر آخر معروف . واى حل سريع للمشكلة قد يؤدى الى النصر فى الحرب . والمعروف ان علماء الطبيعة فى بريطانيا وفرنسا والمانيا يعملون جاهدين لحل هذه المشكلة . وكذلك يفعل علماء الطبيعة فى الولايات المتحدة ومن حسن الحظ ان علماء الطبيعة الأمريكيين فى المقدمة . والمتفجر الجديد الذى قد يكون ايضا الرد على السعى الى انطـلاق الطاقة الذرية وتحررها انما يتعلق بالنظـائر المشعة لليورانيوم . فاقل من واحد فى المائة من عينة من اليورانيوم العادى يحتوى على هذه النظائر . والنجاح الذى تحقق حتى الآن حدث فى جامعة كولومبيا حيث ترقد على شريحة من الزجاج كمية صغيرة جدا لا يمكن أن تراها العين المجردة » .. ثم طوت الصحيفة ومضت فى طريقها وحدها .

قال بيرلون هول :

— ان ما يجب ان نتذكره يا ستيفن هو الفرق بين فكرة الالمان من التقدم وبين فكرتنا ..

فرد عليه ستيفن قائلا :

ـ فكرة قريبة من التقدم ، الدمار التام ، ولا أستطيع أن أقول اننا افضل منهم ، فالخطط التى نضعها والاهداف التى نرمى اليها تتشكل كلها لتخلق سلاحا يستهدف افناء البشرية .

كان كل منهما قد قابل الآخر على قمة الدرجات الرخاميـــة لسلم الجامعة حيث ذهب كل منهما بمفرده ليستمع الى محاضرة « انريكو فرمي » عن الأشعة الكونية . وكان بيرتون هول قد قال لستيفن في أسف :

ـ ما يزال هذا الرجل الصغير يعرف أكثر من أي واحد منا .»
واجاب ستيفن :

ـ انى لأعجب هل يعرف كيف يمكن أن يحدث التفاعل الذرى .»
واقترح بيرتون هول « لم لا تسأله ؟» فقال ستيفن :

ـ لو كان على استعداد فأعتقد أنه سوف يقول .»

ومن هذا الحديث المتقطع وصلا الى السلاح ذاته . وجال فى فكر بيرتون هول احتمال ان يكتشـــف النـــازيون السر . وقال ستيفن :

ـ اذا حصلوا على السلاح فسوف يستخدمونه فى خلال شهور قليلة ، ولتكن أربعة شهور ، وفى هذه الحالة سوف يتخلى بقية العالم عن كل أمل .

فقال بيرتون هول :

ـ لانرع .. وسارا معا فوق الأرض المليئة بالحشائش الخضراء بين الأشجار الظليلة التي كانت تتسلل بينها أشعة الشمس ثم واصل بيرتون هول حديثه :

ـ ان الهدف النهائى هو نفس الهدف ، السلام ومنتجـــات السلام . اننا جميعا نقدر الســـلام ونعرف اننا نستطيع فى ظل السلام ان نعيش فى راحة وسعادة . لذلك فان العلماء يحطمـــون أعداءهم ، أو أعداءهم الأقوياء على وجه الخصوص ، حتى يستطيعوا أن يتطوروا بعد ذلك ويتقدموا فى سلام وطمانينة .



وســــاله ستيفن :
ـ ونحن ..؟
فاجابه بيرتون هول قائلا :
ـ اننا معشر الأمريكيين نصنع الاسلحة من أجل الدفاع لا من أجل الدمار . كذلك فنحن نريد السلام ، السلام الذى نستطيع ان نتقدم فيه ونتطور ولكننا لانستطيع أن نوجد حولنا صحراء حتى نكون في مأمن . اننا فقط نحصل على الاسلحة وليعرف بقية العالم اننا نملك هذه الأسلحة .
وساله ســــتيفن :
ـ أتعتقد اننا لن نستخدم القنبلة ابدا ؟ »
فاجابه بيرتون هول فى صراحة :
ـ سواء استخدمنا القنبلة ام لم نستخدمها فان هذا لا يعنى اننا لانستطيع أن نصنعها . يجب أن نصنعها وبأسرع ما نستطيع .
وسارا في صمت برهة قصيرة حتى أوشك كل منهما ان يمضى فى طريقه ثم توقف ستيفن ليقــــول :
ـ ماذا تريدنى أن أفعــل ؟.
فنظر اليه بيرتون هــــول :
ـ اريدك ان تدرس هذا الموضوع وتكتب تقريرا بذلك . اريدك ان تخبرنى هل يمكن لليورانيوم العادى ان يحدث تفــاعلا متسلسلا هل يمكن ان تفعــــل ذلك ؟.
ولم يجب ستيفن لفتــرة ثم قال ، وهو لا يستطيع ان يرفع عينيه المتعبتين :
ـ اتعشم الا تطلب منى ان اعمل فى هذه الأسلحة .
فقال له بيرتون هــــول :
ـ اننى فى حاجة اليك فليس هناك من يجمع بين بصــــيرتك ودقتك . فالشخص الذى يستطيع ان يقيس الأشعة الكونية على عمق الفين وخمسمائة قدم تحت الارض فى أحدى المناجم ويقيسها

بدقة رائعة هو شخص أريد منه أن يخبرني ماذا يمكن أن نفعله باليورانيوم انني اعتمد عليك جدا يا ستيفن ».
ـ فقال ستيفن :
ـ سوف افعل ذلك .
ـ فرد عليه بيرتون هول قائلا :
ـ اذن لا داعي لأن اذكرك فعندما تكون على استعداد ، يمكنك أن تكتب تقريرك .
فأوما ستيفن وسار في طريقه . كان الليل قد اسدل ستائره على الكون وفوق البحيرة كانت السحب تتجمع في الافق سوداء ثقيلة . ورأى من بينها وميض برق ينبعث وبعد ذلك سمع زئير الرعــــد .

وفي الساعة الرابعة من صباح الليلة ذاتها دق جرس التليفون بجوار سرير جين ايرل ثلاث مرات واستيقظت على الفور وكان على الجانب الآخر بيرتون هول وقالت وهي تمسك بسماعة التليفون :
ـ نعم يا بيرت ماذا تريد ؟ .
وسمعته يقول :
ـ انني متضايق وفي حيرة ».
فسألته
ـ ماذا حدث ؟ .
فقال لها :
ـ ان هـذا هو ما يضايقني فلا شيء يحدث وعلينا ان نتلقى اشارة المضي في العمل من اعلى . ان هؤلاء الذين وفدوا من اوروبا على حق .
وضحكت ثم قالت له :
ـ عم مساء ..
ووضع سماعة التليفون وظل مستيقظا حتى الفجر لا يفكر في أحد ولكن المعادلات كانت ترحف متتابعة على عقله . ان التفاعل

التسلسل ممكن والتفجير شيء لا مفر منه ولكن ماذا عن التحكم فى هذه الاسلحة . لقد سألته هذا السؤال كثيرا وقد قال لها :

ــ ان الجرافيت هو الذى يستطيع ذلك وهو أفضل من الماء الثقيل الذى يستخدمه الالمان . وقد سألها :

ــ الا يهمك ان تتسخ يديك فالجرافيت اسود مثل الفحم .

وقد اجابته آنذاك :

ــ كم مرة رايت فيها يدى متسختين ؟ .

وضحكت حينئذ دون أن تجيب . لقد ضحت بيديها الرقيقتين الجميلتين كما ضحت بنفسها ولكن لأى شيء ؟ . لهــذا الشغف والتطلع الازلى الذى جعل منها عالما بالرغم من انها امراة . ولم تكن تعرف ابدا هل يستحق العلم هذه التضحية .

وفى يوم من ايــام سبتمبر وفى البيت الابيض كان الرئيس الكبير ينظر عبر مكتبه الى الشخص الصغير المتكور قبالته واشعل سيجارة جديدة ثم وضعها فى « مبسم » السجائر ثم وضعه فى ركن من فمه واخذ ينصت للصوت الخافت الذى يحدثه عن الدمار الشامل والــكوارث التى لاحد لها وكان الجــو حارا وقال الرئيس للرجل الذى يجلس امامه :

ــ اخلع معطفك .

وهز الرجل الصغير راسه واخذ يعتذر للرئيس لقــد استغرق وقتا طويلا وهو يأسف ولكن هذه التى يقولها حقائق هامة ويأمل أن يتم شيء من اجلها وفى الوقت المناسب .

وحملق الرجل الذى يجلس الى المكتب وهو طويل بدين أنيق الى العالم الاسمر الصغير وقال :

ــ اذن كل شيء يتكون من الذرات .

فاوما الرجل الصغير موافقا .

ــ ومم تتكون هذه الذرات ؟ .

ــ من مقذوفات كهربية يا سيدى .

ــ وما هو الفرق بين الكهرباء والمغناطيسية ؟

ــ انهما مظهران لنفس القوة .

ومضى الحديث بينهما على هــــذا النحو وفجاة قال الرجــل الكبير :

ــ اتمنى ان اكرمك ولكن مهمتك قد تحققت وســوف ابدأ ــ العمـــل .

فنهض الرجل الصغير وانحنى بطريقته الاوروبية وقال بصوته الرقيق اشكرك يا سيدى ، اشكرك جدا .

ثم انحنى مرة اخرى واستدار وفتح البــاب واغلقه خلفه فى هدوء واسترخى الرجل الكبير قليلا فى كرسيه وفجاة زحف على وجهه شعور بالخوف واخرج ورقة من مكتبه واخذ يقرؤها وهويكاد يمضغ « مبسم » سيجارته .

منذ عامين غزا الالمــان بولندا واستطاعت الدبابات الكبيرة والطائرات ان تصنع لها ممرات عبر غربى بولندا الى وارســو . وبينما كانت المعركة دائرة فى شوارع المدينة هاجمت الدبابات الروسية ، بناء على خطــة سابقة ، من الشرق . وبعد ذلك بشهر واحد تقابل الجيشان وانقسمت بولندا الى قسمين : قسم خاص بروسيا وقسم خاص بالمانيا ! اذن كان هذا العالم على حق . ليس هناك وقت نضيعه بل ان هناك طريقا طويلا يجب ان نسير فيــه والمشكلة هى ان نجد الرجال . دائما مشكلة الرجل المناسب للوظيفة المنــاسبة .

لقد كان هذا العالم يتنبأ ولم يكن الرئيس يستطيع ان يمضى تحذيراته انه مضطر لأن يستمع الى هؤلاء العلماء مهما يكن ما يفعلون وتنهد الرجل الكبير ثم تحدث الى سكرتيرته قائلا

ــ قولى لهارى أن ياتى الى . اننى اريد أن اتحدث معه او اسمعه يتحدث الى وقولى لزوجتى اننى لن احضر على العشاء .

وكانت سيجارته قد احترقت فاشعل سيجارة اخرى واخــذ ينفث دخانها فى عنف وعصبية .

في هذا الوقت كان ستيفن كوسنت في مكتبه الصغير ينهي تقريره الذي طلبه منه بيرتون هول وكان قد فحص المعادلات والتقديرات مرات كثيرة . ومع ذلك فان النتائج التي توصل اليها كانت ابعد عن أن يوثق فيها ، فالعقل يستطيع ان يتخيل ويتصور ، ولكن ومضات التبصر التي تتضح في ارقام المعادلات يجب ان تتأكد عن طريق قياس نوويات الذرات بطريقة فيزيائية وهو لايريدوليست لديه الشجاعة لأن يقيس هذه النوويات الذرية فالقوة التي مازالت تكمن داخل النواة التي لاترى في الذرة شيء يفضل الا يفكر فيه ولا يكون مسئولا عن تفجيرها واطلاقها في عالم الانسان . وجلس مكتئبا متألما امام الصفحات التي سجل فيها معادلاته بخط دقيق صغير . انه يفضل لو كان شيئا آخر غير أن يكون عالما ولكن اباه ؟ هذا الرجل الصامت من رجال الاعمال ، لم يحذره أما أمه فكانت فخورة به عندما حصل على منحة لجامعة هارفارد لم يكن في حاجة اليها . من كان هناك يحذره من الدمار المقبل ؟؟ كان طفلا يلعب باعواد الكبريت .

وبينما هو في افكاره هذه تردد في مسمعه صوت نسوة يمتزج بموسيقى صاخبة . ما الذى دهى هيلين حتى تقيم حفلا للنسوة فقط في ذلك اليوم من بين الأيام كلها؟ان هذا شيء لم يدركه ففي الساعة الثالثة من بعد الظهر امتلأ المنزل بالنسوة وبدلا من الهدوء الذي لابد منه وهو يعتصر عقله حتى يخرج ما فيه ويعبر عنه بمفاهيم النسبية اضطر ان يقنع اويرضى بثرثرةالنسوة فيالحجرة المجاورة. ووضع القلم وقد نفد صبره . واخذ يفكر في شهر العسل و فجأة تبلورت افكاره المتناثرة على صوت هيلين الضاحك الرائق . وهي تقول :

ـ اهلا جين ، دعيني اناديك باسم جين »

فقالت المرأة الأخرى ..

ـ ان كل واحد يناديني باسم جين »

وتذكر هذا الصوت الهادىء ثم سمع زوجته تواصل كلامها وتقـــول :

ـ هل تفهمين يا جين حقا نظرية اينشتين عن النسبية ، لا داعي للكذب . اننا كلنا نسوة ولن نقول لأحد . كان ذلك شيئا فظيعا من هيلين . لقد برهنت على مابدا يشك فيه هو وهو انه مهما تكن ملاطفتها وحبها الا انها قادرة ايضا على الشر والتعذيب ، تعذيب نفسها وتعذيب الآخرين ولكن من تعذب الآن ؟ اتعذب جين أم تعذب نفسها . انه لايعرف بالضبط . وكبح جماح نفسه ورغبته فى أن يقفز من فوق كرسيه ويواجهها فى حضور كل صديقاتها ولكنــه بدلا من ذلك اخذ ينصت الى رد جين ودهش وهو يسمعها تضحك وعندما سمع هذا الصوت الرقيق العذب استيقن أنه لم يســمع ضحكتها من قبل .

وقالت جين :

ـ كيف أستطيع ان اجيب على مثل هذا السؤال . فاذا قلت انني افهمها فسوف تكرهونني وأنا اريدكم ان تحبوني . لذلك اقول أن اينشتين قد دفع بنا الى خطوات أعمق لتفهم عالمنا وربما يــكون قد القى ببعض الضوء كدليل يرشدنا الى عالم أبعد من عالمنا وامتى حسب مفاهيم الميكانيكا واحب ان أقول ايضا أن اينشتين يحــاول دائما أن يبسط الروابط المعقدة لكل شيء موجود ويضعها كلها فى مجال واحد كما يسميه فالزمن والبعد والكتلة هذه هي المواد التي يستخدمها وهذه تؤدي الى كل شيء طبيعي والكتلة تعنى الوزن أو مقاومة الحركة وقد ادرك اينشتين أن النســـبية بين هذه الاشياء الثلاثة تثبت أن هذه الكتلة او المقاومة ليست غير متغيرة كما كنــا نعتقد ولكن وزنها يزداد مع ازدياد السرعة وهذا شيء نسبي للمشاهد

وتدفق الصوت الحبيب الى أن سكت فجاة وكانت نبرات صوت هيلين تداهمه مثلما يقطع السيف الحرير فقد قالت لها هيلين :

ـ انني اكاد افهم ماتقولين ولكن خبريني هل تفهمين ما يفعله زوجي ؟.

وتساءل بينه وبين نفسه لم تستخدم هذه الكلمة الآن « زوجى »
لقد كان دائما بالنسبة لها ستيف .

وترددت جين برهة ثم قالت :

ـ لست على يقين من أننى اعرف بالضبط ماذا يفعل فى هذه اللحظة . اننا لم نتحدث ..

يا للسماء انها تخبر هلين فى رقة بانها لم تقابل هذا الزوج فى الفترة الاخيرة والحق انه لم يقابل جين منذ شهرين كما لم يفكر فيها . واستمر ينصت ليسمع زوجته تقول :

ـ ألم تتحدثى معه حقا ؟.

ـ لم يحدث فى الفترة الأخيرة يامسز كوست .

ـ الا تنادينني باسم هيلين ؟.

ـ اذا رغبت فى ذلك .

ـ ولكن حدثيني عن هذا اليورانيوم . اننى غبية .

ـ اننى على يقين من انك لست غبية .. ماذا أقول لك ؟؟

ـ اى شىء تعتقدين اننى أستطيع أن أفهمه .

ـ ان هناك الكثير الذى يمكن أن يقال ومع ذلك فقليلا مانعرف واعتقد أن هذا مايعكف عليه دكتور كوست .

ـ الا تنادينه باسم ستيف ؟ .

ـ لا .. ترين ان خام اليورانيوم الطبيعى كما يخرج من المناجم لا يمكن أن ينفجر بطريقة ذرية .. احدى نظائر اليورانيوم يمكن أن تفجر وهى يورانيوم ٢٣٥ . انه شىء يشبه السحر وهو نادر من بين نظائر العناصر الاثنين والتسعين الموجودة فى الطبيعة فهذا العنصر ينشطر عندما يقذف بنيوترونات بطيئة حسب معلوماتنا حتى الآن واذا لم نستطع ان نفصل اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة نقية فاننا لا نستطيع أن نحصل على الطاقة التى نحتاج اليها مهما يكن سبب حاجتها اليها .

فقالت هيلين :

ـ العنين الاسلحة ؟.

وعلى الفور نهض ستيفن لينقذ جين من هذه الورطة . فلم يكن هناك احد بعد على يقين من ان الأسلحة يمكن ان تصنع او يجب أن تصنع . فلكى نفجر عن طريق الانشطار جزءا من اليورانيوم فلابد أن تنقسم عديد من الذرات فى الوقت نفسه . والنيوترونات هى الحل بالطبع كما اكتشف فيرمى . فاذا ادى الانشطار نفسه الى اطلاق النيوترونات فانها يمكن أن تولد انشطارا مرة اخرى ومن ثم يكون هناك تسلسل يربط الانشطار بالآخر .

لم يكن هذا حديث امرأة .

وذهب ستيفن الى حجرة المعيشة ووقف ينظر الى الجميع ورأى بينهن مولى زوجة بيرتون هول وقال لنفسه هل ستبلغ بيرتون هول بما قالته جين ام انها من الغباء بحيث انها لم تفهم ماقالت جين .؟ ووجه كلامه الى جين قائلا :

ـ هل استطيع أن أطلب كوبا من الشاى .

وتقابلت عيناه بعينى هيلين المتحديتين وفى ادب بالغ غير عادى مر على النسوة يصافح كل منهن ثم جلس اخيرا بجانب جين وقال لها :

ـ لقد انتهيت من تقريرى واذا استطعت أن تسمحى لى فاننى أحب أن اناقش معك بعض النقاط قبل أن اسلمه فقالت :

ـ بالطبـــع .

وفجأة تقابلت عيناه مع عينى هيلين المسددتين اليه ورمقها بنظرة فتحولت بعيدا عنهما . وانتصف الليل وهو مازال يتحدث الى جين وكانت هيلين قبل ذلك بساعتين قد قرعت الباب نصف المفتوح وقالت :

ـ اننى ذاهبة لانام ياستيف ..

فقـــال :

ـ سوف الحق بك حالا ..

وتقدمت منهما وعلى غير توقع قبلت جين على خدها وقالت !
ــ عمى مســاء ياجين .
ــ أشــكرك ياهيلين ..
ــ ســـلام ؟!
ــ على القبــــــلة ..
ــ انني لا اقبل الناس كثيرا .
ثم مضت هيلين في طريقها وعاد ستيفن وجين الى حديثهمـا مرة اخرى كما لو انها لم تكن بينهما منذ مدة . وقالت جين :
ــ اليس لديك اى شك الآن في أن القنبلة يمكن ان تصنع ؟ .
ــ فاجابها . بلى .
وقضمت شفتيها وهي تقــول :
ــ ان هذا يعني ان اية دولة تستطيع أن تدمر اية دولة اخرى.
ــ انني اخشى ذلك .
ــ هل نستطيع ان نتحكم في المواد الخام ونشرف عليها ؟.
ــ ان هناك يورانيوم في كل مكان . وربما يكون هناك ثوريوم ايضـا وهذا بعيد عن اشرافنا .
ــ ليس هناك علم يمكن التحكم فيه . اننا نستطيع أن نحتفظ بالسر لبضعة شهور او سنين وليس اكثر من ذلك
ــ ان عقول الانســـان لايمكن أن تتوقف .
فتنهدت بعمق وقــالت :
ــ اهذه نهاية البشرية ؟.
ــ انني ارفض ان اتقبل ذلك .
ــ ولكن يبدو انك تتالم بشـــكل عميق ..
ــ ان كل انسان عاقل يجب أن يكون كذلك
ــ نعـــم ..
وساد الصمت بينهما لحظة وقطعته اخيرا بقولها ؟
ــ انني اشعر بانني مسئولة كامراة . كنت اود الا اكون بمفردي هــكذا .

ـ انك في هذه اللحظة عالمة فقط وليست المسالة في انك امرأة وانا رجـــل .

ـ فيما عدا انك تنتسب الى نصف الجنس البشرى وانا النصف الاخر والنصف الذى تنتمى اليه يقظ ويعمل أما النصف الذى انتمى اليه فنائم يلد الاطفال ويدير البيوت ـ الكل نائم . وبعد ذلك يلقي بالاطفال الى نيران الانفجار الذرى وتتقوض البيوت وتصير رمادا فكيف أوقظهن ؟ .

وتلالات الدموع في عينيها ثم تدحرجت في بطء على خديها ولم يستطع أن يتحمل أن يراها تبكي بهذا الألم ولم يجرؤ على أن يربت عليها ليهدىء منها لكنه بدلا من ذلك تحدث اليها في هــدوم ودمه قائلا :

ـ اليست هذه الدموع سابقة لأوانها ؟؟ ان ما نتحدث منه قد لايحدث مطلقــا .

ـ يجب أن نجعله لايحــدث .

ونهضت ومدت اليه يدها فاحتواها بيده وشــعر بانها دافئة وترتعش . شعر بذلك لبرهة وجيزة فقد افترقا بعد قليل ورآها وهى تركب عربتها الصغيرة .

وعندما صعد الى اعلى كانت هيلين نائمة أو هكذا اعتقد .. كانت تنام على جانبها الأيمن ولم تتحرك .. ثم انه لم يوقظها .. ورقـــد بلا نوم في سريره . ان جـــين على حق . يجب الا يدع ذلك يحدث .

وفي اليوم التالى ذهب الى بيرتون هول وقال له :

ـ ها هو التقرير . لقد انتهيت منه ليــلة أمس وراجعته مع « جين ايرل » . وقد اتفقنا على أن التفاعل المتسلسل ممكن كلية . وقد يكون التفجير الذى يولده أبعد من سيطرتنا . ولكن التجربة هي التى ستحدد ذلك .

وسأله بيرتون هول :

ـ ولكن ماذا سنستخدم من ادوات لكي نخفف من ذلك ؟ .

فاجاب ستيفن :

ــ لقد قدمت عدة اقتراحات في التقرير . واعتقد ان الجرافيت الذى قال به « فيرمى » هو افضل شيء . وهو كذلك ابسط واسهل من الماء الثقيل او اى شيء آخر . فهمهم بيرتون هول وهو يقول :

ــ مهمة دقيقة جدا . .

ولكن ستيفن قاطعه قائلا .

ــ اريد أن ابتعد عن هذا العمل .

وحملق فيه بيرتون هول وقال :

ــ ماذا تعنى ؟ .

ــ لا أريد اى دور فى صناعة هذا السلاح ؟

ــ ومن يريد ؟ انه عمل الشيطان . ولنفترض ان آخرين قاموا بصنعه اولا . اننى أراهن على أن النازيين قد استولوا على النرويج بسبب ما يوجد من الماء الثقيل هناك . اننى لا أستطيع ان أجلس وأرى بلادي وهي تتحطم وتنسف .

ــ ان كل انسان يجب أن يقرر مصير نفسه .

ــ ليس اليوم .

والقى بيرتون هول بالتقرير جانبا ثم قال :

ــ اننا نعيش او نموت معا .

ولم يجب ستيفن كوست . وجلس واسترخى بجسمه النحيل على الكرسى فى مواجهة النافذة وأخذ يراقب الطلبة وهم يمرحون فى حرم الجامعة . كانوا فرحين بيومهم الجميل والرياح الباردة تلهب خدودهم كما كانت شعور الفتيات تتطاير فى الهواء . ان هذا شيء غير حقيقى ولكن ما هو الشيء الأقل حقيقة ، تلك الأجسام الهشة من لحم ودم والتى تموت بسرعة أم هذه الطاقة الكامنة فى جزيء صغير جدا لا يمكن ان تراه العين ؟ . ثم انه أردف يقول :

ــ ان ارتبط بهذا المشروع .

وعلى الفور انفجر بيرتون هول يقول :

ـ انك تدعو نفسك عالما ، فهل تعتبر أن هـــذا القرار الذي تتخذه بعدم اشتراكك في صنع هذا السلاح سوف يحول دون ان يصنع بل وان يستخدم ايضا .

فاجابه ستيفن :

ـ على الأقل لن اكون مسئولا .

وحينئذ كشر بيرتون هول عن أسنانه وزمجر قائلا :

ـ انك مسئول فاذا سقطت القنبلة علينا اولا قبل ان نستطيع ان نسقطها على العدو فسوف تلام . انكم انتم تجـار الحـروب الحقيقيون ، انتم معشر دعاة السلم . انكم تجار حروب وانهزاميون ايضا .

ولم يزد عليه ستيفن كوســـت ونهض واقفا واخــذ قبعته وترك الحجرة .

في تلك الليلة وعندما عاد الى بيته قبل زوجته قبلة قصـيرة وهي تعمـــل في المطبخ وقد كانت تصنع العشاء كانت خدودها ساخنة وحمراء . اما مزاجها فلم يكن هادئا بالمرة وسمع زوجته تقول في شبه شكوى :

ـ عندما افكر في المطبخ الكبـير الجميل في البيت الذى لن املكه ابدا ، العجب لماذا تزوجت عالما ؟ .

فاجاب ستيفن بقوله :

وانا العجب ايضا لم اصبحت عالما ؟ .

لم انتظر حتى تساله عن احواله ولـكنها كانت مشغولة في الكعكة التي تعدها في الفرن التي احرقت اصـابعها وهي تجرها من الفرن وحينئذ قرر ان الوقت غير مناسب للحديث عن التفجير الذري . ثم سألها عن موعد اعداد العشاء واجابته بانه يجب ان ينتظر نصف ساعة والا يتحدث معها مرة اخرى لأنها متعبة فذهب الى مكتبه وهناك جلس وهو يضع راسه بين يديه واعماقه تتمزق ؛ لم تذكر قولا ماثورا كان يردده ابوه كثيرا لقد كان يقول دائما : « ان الصينيين يعرفون الانسان اكثر مما نعرفه فهم يقولون ان كلا

منا فى أعماقه ثلاثة ارواح وسبعة من الشياطين وكلها فى حرب مستمرة » وكان يسأل اياه قائلا : « ثلاثة ضد سبعة أليست النتيجة معروفة » ، فكان يجيبه بقوله : « من يعرف مدى قوة الروح ؟ ، ان النسبة قد تكون صحيحة » .

وبحافز في أعماقه قام الى التليفون وطلب جين ايرل وشعر برهبة الى حد ما وهو يتذكر رقم تليفونها دون أن يكتبه في مفكرته ولم يستطع أن يتذكر أين سمع رقم تليفونها ولكنه يعرفه فهو محفور في ذاكرته .

– جسين ؟

– نعم يا ستيفن .

– انى لسعيد لأن تناديني هكذا ، فقد كنت اريد أن اطلب منسك ذلك .

فقالت في هدوء :

– ان هذا شيء طبيعي .

– لقد قدمت تقريرى الى بيرتون هول اليوم وأبلغته انى لا اريد أن استمر فى هذا المشروع ، لسوف افعل اى شيء اخر فى مجال البحث ولكننى لن أعمل فى هذه المهمة .

– انى لسعيدة لذلك وهذا يعنى أن هناك اثنين منا .

وسمعها وهى تضع السماعة برفق ثم ساد الصمت .

وبعد منتصف الليل بفترة طويلة نهض بيرتون هول وجمع قصاصات الورق التى كان يسجل عليها بعض المعادلات والملاحظات . وكان قد اكمل اول خطوة لأى مشروع قد يتعهد به وكان قد جلس وحده فى هذه الغرفة غير المرتبة التى يسميها مكتبته واستطاع ان يخرج بمشروع من عنده هو وكانت الخطوة التالية ان يبحث عن زوجته حيثما كانت ويوقظها ان كانت نائمة ويتحدث اليها . انها فى هذه الساعة لابد أن تكون نائمة فى السرير الكبير العتيق الذى شاركها اياه منذ ثلاث وعشرين سنة وتنهد وهو يصعد الدرج وقال فى نفسه « النوم ! » متى يستطيع ان ينام مرة أخرى دون أن تداهمه الأحلام

المزعجة ؟ انه يقف على أعتاب معركة رهيبة لا يمكن أن يتراجع عنها.
وأضاء النور في القاعة العليا وفتح باب حجرة النوم وكانت زوجته نائمة وكان المصباح بجوار السرير مضـــاء فوضع أوراقه على المنضدة بجوار المصباح وخلع ملابسه في صمت وشعر بأنه في حاجة الى دش ساخن يريحه وخمس دقائق من التمرينات الرياضية ولـكن الفرص لا تسمح بالعنـــاية بصحته الآن وزحف بجوارها على السرير وأخذ يوقظها وطلب منها أن تصحو لأنه يريد أن يتحدث اليها ومال عليها وقبل وجنتها وقال لنفسه يا لها من امرأة تعيسة اذ تزوجتني . ثم وجدها تفتح عينيها بصعوبة فمضى يتكلم :

ـ انني أعرف الأشعة الكونية وكل هذه الأشياء بل استطيع أن أمضي أكثر من ذلك وأقول انني أعرف قدرا كبيرا من امـــكانيات تقسيم الذرة ـ ليس مثل فيرمي العملاق الصغير ـ ولـكني أعرف ما يكفي لأن أتحدث معه وأعرف ما يحدثني عنه وانني لا أعرف ماذا يفعل الآن في محـاولته لاحداث التفاعـــل المتسلسل ولكن يجب على أن أقوم بمهمة لابد فيها من علماء كبار وهي مهمة على جانب كبير من السرية التي يحتمل أن تؤدي الى أن أصنع ، أو أساعد في صنع سلاح قد ينسف العالم ومن بينه انا وانت .

وهنا تأوهت مولى بصوت عال وسألته :

ـ لكن لم تصنع هذا السلاح ؟ .

فرد عليها قائلا :

ـ لا توجهي الى اسئلة سخيفة فهل تعتقدين انني اقدم على صنع هذا السلاح ان لم اكن مضطرا الى ذلك ؟ . ان النازيين سوف يقضون علينا ـ هذا هو السبب وأولادنا على وشك أن يلتحقوا بالجنـــدية .

فاستيقظت مولى عند ذكر ولديها وقالت :

ـ أرجوك الا تشركهما في ذلك انني لا أريدهـما ان يرتبطـا بعلمك القديم .

فقال لها :



ـ مولى .. لا تتحدثي عن الأولاد أو أي شيء .. فقط انصتي لي .. سوف أحدثك عن الموقف كما أراه في هذه الساعة من الليل ان لدينا عملا كبيرا وليس لدينا الوقت لنقوم به فالذي كان يمكن أن نصنعه في القرن القادم وفي فسحة من الوقت يجب أن نفعله في مدى خمس سنوات على الأكثر بل وفي أربع سنوات. ان لدينا فكرة باهتة عن أين تكمن أكبر طاقة في العالم ونحن نخاف أن نطلقها لاننا لا نعرف كيف نسيطر عليها . وهذه هي المشكلة الأولى : كيف نتحكم فيها ؟.

فتمتمت مولى وهي تقاوم النوم :

ـ التحكم فيها .

ثم واصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ـ اذن كيف نستطيع ان نتحكم في هذه الطاقة ؟ . ان علينا أولا ان نحصل على مفاعل نووى والمفاعل النووى يا زوجتى ليس أكثر او اقل من فرن كبير جدا .

فرمقته باحدى عينيها وقالت :

ـ فرن مثل فرن المطبخ ؟ .

ـ بالضبط ولكنه أكثر حرارة من هذا الفرن بملايين المرات حتى أننا اذا لم نستطع أن نسيطر عليها ونتحكم فيها فان كل شيء سيحترق ويظل يحترق ذلك لأن هذه الحرارة هى نفس الحرارة التى تجعل الشمس والنجوم فى مثل حرارتها ـ أى عبارة عن لهيب متصل من غاز الهليوم المحترق . فصرخت مولى وفتحت كلتا عينيها وقالت :

ـ ولكن لم تفعل مثل هذا الشيء ؟ .

فقال لها :

ـ هل يمكن أن تهدئي انه لا بد أن آتي بمن يبنى هذا المفاعل. انه لابد أن يكون معي رجال كثيرون يقومون باشياء كثيرة في الوقت نفسه ـ اذن من الذى أستعين به لبناء هذا المفاعل ؟ ما رأيك فى

« تدباركز » ؟ انه يعمل في البحرية ولكنني استطيع ان اطلبه من هناك فهذا المفاعل أكبر من أى مشروع يتعلق بالبحرية وهو يعرف الفيزياء النووية وقد عملنا معا فى اشعة اكس وهو يستمع لى ولكنه يفكر .

فقالت له مولى :

ـ وهو يكتب الشعر ايضا ، وقد رايت له بعضا منه في احدى المجلات وهو شعر جميل ولكننى لم استطيع ان أفهمه .

فسالها فى غضب :

ـ اذن كيف عرفت انه جميل ؟ ».

فقالت له :

ـ لقد كان وقعه جميلا عندما قرأته بصوت عال لكى ارى اذا كنت افهمه اولا ولم استطع ولكنه ما زال يبدو جميلا .

فحملق فيها ثم واصل حديثه قائلا :

ـ لا يهمنى كتابته للشعر .. والآن اين أنا ؟».

واخذ يتفحص مذكراته ..

ـ نعم هنا .. التحكم فى الطاقة الذرية .. ان هناك يا زوجتى عدة طرق نستطيع بها أن نتحكم فى هذه القوة الرهيبة ولكننا لا نعرف ما هى افضل وسيلة للتحكم . فمثلا هناك البيريليوم أو الكربون وكل منهما يخفف من الانفجار الذرى ولكن البيريليوم نادر جدا ولا اعرف من أين نأتى بما يكفينا منه اما الكربون فخطير انني أكاد أجن فاللجنة فى واشنطون تعمل منذ عام ونصف فى فصل اليورانيوم وتحاول أن تجد وسيلة للحصول على مفاعل نووى يمكن التحكم فيه ولا يعتقدون أنهم سيحصلون على أى شيء لاستخدامه فى هذه الحرب ولكن يا عزيزتى سوف نضطر لاعداده من أجل هذه الحرب لان النازيين يضعون خططا كبيرة ـ ان هذا سر هل تسمعين ؟ .

فقالت زوجته وهي تبتلع تنهيدة أخرى !

ـ نعم اني منصتة •

وارتكن الى الوراء ويداه متشابكتان وراء رأسه وكانت مذكراته تتطاير على الأرض ثم قال :

ـ هل تعرفين ماذا قال لى ستيفن كوست اليوم ؟ لقد قال انه لا يريد أن يعمل فى هذا المشروع وقد سلمنى تقريرا يقول فيه انه متأكد ان هذا يمكن أن يتم ولكنه لا يريد أن يكون واحـــدا ممن يصنعونه ـ انه يريد أن يعمل فى أشياء لا تقتل النـاس • سوف أتركه ••• لا لن أتركه اننى أريد كل العقول الكبيرة التى استطيع أن احصل عليها ثم اننا لا بد أن نحصـــل على ارطال وأرطال من اليورانيوم ٢٣٥

وكانت زوجته قد راحت فى النوم مرة أخرى فاخذ يوقظهـا ويقول :

ـ ارجوك انصتى لى دقيقة أخرى •• لقد قال طومبسون أن تجاربه توضح اننا نستطيع أن نحصل على البلوتونيـــوم من اليورانيوم ٢٣٥ وهذا يعنى أننا نستطيع أن نحدث وحدات من التفاعل المتسلسل من مائة رطل من هذه المادة بدلا من مائة طن من اليورانيوم الطبيعى واذا حصـــلنا على ما يكفى من البلوتونيوم فيمكننا ان نحدث تفاعلا متسلسلا بنيوترونات سريعـــة بدلا من النيوترونات البطيئة الأمر الذى يعنى اننا بمثل هـذا التفجر لن نحصل على قنبلة فحسب بل سيكون لدينا قنبلة كبيرة وهـــذا ما يجب ان نعمل فيه يا عزيزتي وهذا شىء واضح بالنسبة لى والآن يمكنك ان تنامى •• ثم مال عليها وطبـع على خدها قبلة عالية واطفا النور •

وعاد بيرتون هول مرة أخرى الى كاليفورنيـا لحضور احـدى

المؤتمرات وكان المتحدث أحد العلماء الانجليز وقال لهذا العالم « انني نوع من العنكبوت البشرى أنسج خيوطى عبر البلاد كلها ، كنت في نيويورك فى الأسبوع الماضى ثم ذهبت الى شيكاغو وبعد ذلك الى واشنطن وانا هنا لأقابلك • ولم يكن الزملاء فى واشنطن يريدوننى أن اركب الطائرة مرة اخرى • فهناك فكرة تعلق فى أذهانهم بأننى شىء مهم وقد هددونى بانهم سيركبوننى القطار ومعى بعض الحرس ••

فأجابه العالم الانجليزى :

- انهم على حق •

واستقر بيرتون هول فى كرسيه الخشبى غير المريح ليستمع الى هذا العالم المشهور ولكنه بدلا من هذا اخذ يفكر فى خطته السرية ، ان خيوط العنكبوت يجب ان تنسج الى ابعد من بلد واحدة ويجب على العلم ان يركز نفسه وان يركز على مشروع عسكرى واحد • ان قنبلة البلوتونيوم يجب أن تصنع • غريب حقا أن تصبح الأحلام حقيقة طالما أن هناك وقتا وضرورة وقد ضيع رجال الكيمياء فى العصور السابقة حياتهم وهم يحاولون صنع الذهب من المعادن الدنيا • والآن أصبح تحويل المادة شيئا ممكنا ولكن ليس بالنسبة للذهب فالضرورة هنا هى الحيــاة نفسها والشىء الملح هو الحرب المحتملة •

وتتابعت افكاره واخذ يغالبه النوم فقد كان الهواء فى قاعة المؤتمر دافئا وهادئا ولم يكن قد أخذ قسطه من النوم منذ الليلة الماضية بل ان القهوة قد فقدت تأثيرها ومفعولهــا ولم يجرؤ على محاولة تعاطى المنبهات التى يستخدمها طلبة الجامعــة ولم يكن يستطيع ان يستخف بأى شىء فالحقيقة داكنة ولا بد أن يعرف ما يقوله هذا العالم الانجليزى وقد كان الرادار هو أكثر التطورات العلمية أهمية حتى ذلك الحين بالنسبة للحرب • ولا أحد يعرف كم من الأرواح البريطانية أنقذها استخدام الرادار فقد كان يعلن

عن الغارات النازية فى وقتها حتى تستطيع الطائرات المقـــاتلة الانجليزية أن تواجه هجمات العـــدو • وما الذى كان يمكن أن يحذرهم لو لم يوجد الرادار وجاء صوت العالم الانجليزى يقول :

ـ لقد قمنا بقياس النيوترونات السريعـــة وهى تمر عبر اليورانيوم ٢٣٥ ووجدنا ان الكمية المطلوبة للتفـاعل المتسلسل أصغر بكثير منا كنا نعتقد فى أول الأمر ونحن على يقين الآن من أن القنبلة يمكن أن تصنع بالبلوتونيوم الناتج عن ذلك •

وقال «تدباركز» الذى كان يجلس الى جوار بيرتون هول :

ـ اتذكر فيرمى •• ان كل شىء قاله يؤكد ما سمعنـاه الآن فكل ما نحتاج اليه اقل من مائة رطل من البلوتونيوم •

فاوما بيرتون هول علامة الموافقة فقد اشتملت مشروعاته فى الأسبوعين الأخيرين على الاستعانة بالعالم «فيرمى» و «وينر» العالم المجرى الكبير •

فى ذلك اليوم ظل يستمع الى وينر وهو يحكى له ، بينما عبراته تنهمر ، من النازيين وما فعلوه فى بلاده ، كان يتمزق من الفزع وهو يتكلم وهو يذكر الجو الذى هرب منه تاركا وراءه كل انسان أحبه وقال :

ـ لقد قال لى ابى عندما رفضت أن اهرب : يجب ان تغادر البلاد ، ان فى عقولكم شيئا يمكن ان يساعد فى انقاذ بقية العالم ، اذهب الى أمريكا ، واخبرهم بكل شىء •

ثم حاول ان يبتسم وواصل حديثه :

ـ اعذرنى •• اننى لا استطيع أن انسى وهذا هو السبب فى اننى اقول اننا يجب ان نمضى بسرعة فى صنع هذه القنبلة حتى تكون مستعدين للحرب ••

فقال بيرتون هول :

ـ ربما لا نضطر الى استخدامها اذا حصلنا عليها ؟

فأجابه وينر :

ـ اننا لا نقـــرر ذلك الآن ولـــكن اذا اضطررنا فســـوف نستخدمها .

ومن كاليفورنيا طار مرة أخرى الى شيكاغو ودعا رجاله وبعد ثلاثة أيام من التخطيط والمناقشات جلسوا جميعا يتفقون أخيرا على أن البلوتونيوم يمكن أن يصنع ـ ولكن بأموال كثيرة وبمصنع كبير ـ اذا خصص للمعدن الذى تحتاجه القنبلة . ووقف أحـد العلماء البولنديين وهو خبير فى المتفجرات ليقول :

ـ اننا نستطيع أن نصنع قنبلة ذريةصغيرة فى احدىالطائرات ونوفر الطائرات الكثيرة التي تحمل عادة القنابل الحارقة التى تقوم دائما بعمليات الاتلاف وبهذه القنبلة الواحدة نستطيع ان نحدث من التلف والخسائر ما تحدثه هذه القنابل الحارقة جميعا .

وانفض الاجتماع وانتهى العالم الانجليزى ممـا كان يريد أن يقوله واتجه نحوه العلماء لا ليصفقوا له أو ليتعارضوا معه ولكنهم كانوا يعانون من قلق خطير ولم ينهض بيرتون هول من مقعـده فقد طفت مشكلة من أعماق عقله المضطرب فالطاقة التى تولد من الانشطار فى رطل واحد من البلوتونيوم تعادل نحو عشرة آلاف رطل من مادة ت.ن.ت. ولكن لنفترض أن القنبلة فجرت نفسها قبل أن تستخدم ماذا عن ضغط الغاز والحرارات الخاصة فمن ذا الذى يعرف قوى القصور الذاتى وانتقال الاشعاعات والجزيئـات عبر المعدن نفسه . كيف يمكن الاجابة على مثل هذه الأسئلة أو حتى حسابها ؟. من ذا الذى يعرف أى شىء ؟. ونهض فى صمت وسار على مهل انه مضطر لأن يكون وحده فى مكان ما لمدة ساعات بعيدا عن صوت أى انسان بعيدا عن هذا العالم الصغير وقريبـا من النجوم مرة أخرى .

ومضى بيرتون هول الى حيث التليسكوب الضخم الذى يربض

على قمة جبل مرتفع ومن هناك استطاع أن يتبين رقعة من الأرض فسيحة في وادى ريوجراند حيث استقر رأيه على أن هذا هو المكان الذى يبحث عنه بعيدا عن الطرق وبعيدا عن المدن وبعيدا عن الناس • فهنا فى أمان وسرية تامة يمكن أن تصنع التجربة الكبيرة •

قال ستيفن كوست لجين :

ـ لقد انتهى يوم آخر وحان الوقت لأن نتوقف • لقد كتبنا الكثير من التفاصيل ، ان هناك أربع طرق يمكن أن يصنع بها هذا الشيء • اننا فى حاجة منها الى بضع مئات من الأرطال ويجب أن نتذكر ذلك فالألمان يستخدمون طريقة الانتشار الحرارى وهذه طريقة باهظة التكاليف اذا كانت تقارير الأبحاث التى تجريها البحرية فى واشنطن موضع ثقة • فهم هناك يعملون بهذه الطريقة أيضا • أما انجلترا فتستخدم طريقة الانتشار الغازى وكذلك تفعل كندا •

فقالت جين وهى تتنهد :

ـ لا تذكر الغاز فهو شيء خطير ويهلك كل شيء انى أكره لونه •

فقال ستيفن وهو يوافق على كلامها :

ـ وسوف يكون من المستحيل أن نجعل الأنابيب ضد التسرب ولكن هناك الفصل المركزى والفصل الالكترومغناطيسى ، وبيرتون هول لديه كل شيء فى عقله الآن ومنظم ، لقد أمضيت معه أمسية الأحد وقد حددت له الطرق الأربع ، أما الخطوة التالية فهى عملية تنسيق وهذه مهمة بيرتون هول ولكنه لا يستطيع أن يتحرك ما لم تعرف الحكومة ذلك •

فقالت جين :

ـ لقد ذهبت مساء الأحد لأستمع الى كونشيرتو لبيتهوفن فلم أكن استطيع أن أبقى وحدى فى شقتى لسبب ما •

فسألها ستيفن :

ـ ألا يمكن أن أرى هذه الشقة ؟.

فأخذت جين تفكر فى الأمر وقررت أن تتقبل هذا الطلب ، لقد أصبحت الوحدة بالنسبة لها شيئا لا يطاق بعد أن ظلت فترة طويلة ترتاح إليها وقالت له :

ـ متى تحب أن تأتى ؟.

فتراجع مرة أخرى وقال :.

ـ فى وقت ما عندما لا يكون هنساك شيء يقلقنى وقد تأتى هيلين معى . اننا نعرف الكثير عن هذه المادة يا جين .

فقالت له :

ـ نحن نعرف الكثير ولكن قد لا يكون كافيا ، ولكن هل ستعمل فى هذا المشروع يا ستيفن .

فأجابها :

ـ لا ، اننى ما زلت لا أعمل فيه وقد فعلت كل ما يمكن أن افعله ولسوف أعمل فى مشروع خاص بى ، فلدى بعض الأفكار عن استخدام الطب للنظائر المشعة .

ولم تجب واستدار ستيفن ليواجهها ويحملق فيها ويقول :

ـ ان أنفك يلمع .

فسألته وهى تمسح انفها بكمها :

ـ هل هذا مهم ؟.

فقال لها :

ـ لا تمسحيه اننى أحبه يلمع فهو انف جميل .

وفى هذه اللحظة استدارت جين واخذت تجمع الأوراق وقصاصات الورق وتضعها فى درج المكتب ثم قالت :

ـ لقد حان موعد ذهابى الى بيتى .

فوافقها على ذلك وأخذ يتسكع لبضع دقائق فى المعمل ثم سمعها تقول :

ـ لقد جاءني خطاب من بيرتون هول اليوم •
فسألها دون أن يدير رأسه :
ـ أين هو ؟•
فقالت :
ـ في نيو مكسيكو وقد وجد المكان الذى سنقيم فيه المشروع •
ـ أعتقد انه يريدك أن تذهبى معه •
ـ سوف يتيح لى الاختيار •
ـ هل ستذهبين ؟•
ـ لا أعرف •
ـ انك ستعملين بطريقة مباشرة فى هذا السلاح اذا ذهبت الى هناك •
ولم تجب جين ثم وضع ستيفن المبراة على المكتب وخلع معطف العمل ومضى ليرتدى معطفه ثم قال :
ـ سوف اذهب •
ولكنه توقف عند الباب •••
ـ اعتقد انه كان هناك اثنان منا لقد قلت ذلك فى احدى المرات ، اثنان ضد هؤلاء جميعا ويبدو الآن أن هناك واحدا فقط ، اننى اقف وحدى أليس كذلك ؟•
كانت جين فى تلك اللحظة تقرأ قصاصة من الورق وفجأة صاحت :
ـ ستيفن لقد اكتشفت غلطتك •
وفى خطوات ثلاث كان ستيفن بجوارها وخطف منها الورق وأشارت الى احدى المعادلات وقالت :
ـ لقد سلمت بأن قوة الصدمة تتحدد بكمية الطاقة التى تنتج ولكن ليست الكتلة هى التى تهم ، انها الطاقة الديناميكية الحرارية المباشرة •
فخبط جبهته بيده وقال :

ـ كم انا غبى .. انها نفس القاعدة التى استخدمها بيرتون هول منذ سنوات مع شركة جنرال اليكتريك فهى القوة التى فجرت الطاقة فى « فلاش التصوير » ..

فقالت :

ـ نعم .. نفس القاعدة أيضا للقنبلة الذرية .

ثم تركها وهو يمسك بيده قصاصة الورق وانتظرت وعندما لم ينظر اليها مرة ثانية وهو عند الباب ابتسمت ثم فتحت احد الأدراج واخرجت خرقة من القماش واخذت تمسح المنضدة كما لو كانت خوض مطبخ .

وبدأت الاتصالات على جميع المستويات لتنفيذ هذا المشروع وكان بيرتون هول هو المحرك الأول لهذا المشروع وجاءته مكالمة من البيت الأبيض وبعد أربع وعشرين ساعة كان فى واشنطن ليقابل المهندس الكبير « فان » الذى أخذ منه التقرير ووعده بدراسته واطلاع الرئيس عليه .

وفى مساء اليوم التالى دق التليفون بجوار سريره واستيقظ على الفور وكانت الساعة الثانية والنصف وجاءه صوت فان يقول له :

ـ لقد قضيت اليوم مع الرئيس وانى اغادر لتـوى البيت الكبير .

وقال :

ـ اذا كان يمكن صنع هذا السلاح فيجب ان نصـنعه أولا وارجوك أن تقابلنى غدا فى الساعة التاسعة فى مكتبى وقد طلبت من ثلاثة زملاء آخرين أن يحضروا وسوف تكونون لجنة جديدة خاصة بأبحاث انشطار النواة ويجب أن تكتبوا لى تقريرا فى خلال شهر من الآن وقد يبدو العالم مختلفا حينذاك مما يبدو الآن عليه سواء من الأفضل أو من الأسوأ واذا كان تقريرك طيبا والعالم يبدو فى حالة سيئة فان الدولة كلها تقف وراءك بلا حدود .

فقال بيرتون هول :

ـ سوف أكون هناك ».

ووضع سماعة التليفون وارتمى على وسادته ، لقد تحققت المهمـــة ».

وفى السادس من شهر ديسمبر وقع باســـــمه على التقرير النهائى وكان فخورا بالسرعة التى انجزوا فيها هذا العمل . وبعد ظهيرة اليوم التالى وفى الساعة الرابعة وبينما كان يقرا فى بعض صحف الأحد تذكر أن هناك مباراة لكرة القـدم تذاع فى الراديو لتترك اخبار القتال وفتح الراديو ليستمع الى المباراة ولكنه سمع صوت المذيع يقول فى تهدج واضطراب :

ـ اننا نوقف هذا البرنامج لنعلن أن بيرل هاربور قــد دكت بقنابل الطائرات اليابانية .

وسقطت الكلمات على قلبه كضربات الحـــديد فوق لحم عار ونهض واقفا واستمر جامدا فى مكانه والدموع تنزل فوق وجنته. لقد اجيب على جميع الاسئلة اخيرا فقد دخلت البلاد الحرب ».

ـ ٣ ـ

وفى صبيحة اليوم التالى الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٤١ استيقظ بذهن صاف وقلب هادىء لقد اتخذ القرار الكبير ولكن لم يتخذه هو . وسكتت المناقشات والجدل فقد اعلن عن نفســـــه ورايه سافرا أمامهم . ولم يكن يريد أن يوقظ زوجته فقد أزعجته بالأمس بنوبة من البكاء والعويل ، والحديث الطويل عن هذا الذى حدث ومن الخوف على أولادها من ويلات الحرب ثم سمع وهـو فى سريره جرس الباب وهو يدق وتطلع الى الساعة بجـــواره فوجدها السابعة فنهض من سريره وأخذ يتحسس طريقـه الى أسفل . كان الصباح مليئا بالضباب وفتح الباب ومن بين هـــذا الضباب استطاع أن يرى شكلا نحيفا صغيرا يرتدى معطفا واسعا يعرفه وقال له :

- ادخل يا ياسوا . انك ستتجمد وانت واقف هكذا .

كان « ياسوا ماتسوجى » فنانا من اليابان تعرف عليه بيرتون هول منذ سنوات عندما كان يهتم بالفن اليابانى فى الجامعة منذ أربع وعشرين ساعة فقط كان يمكن ان يقول ان ياسوا صديقه فلم يكن يتصور أن يربط بين الفنان وبين عدوه أو اى عدو ولذلك لم يستطع ان يتكلم كما ان « ياسوا » لم يتكلم . وقف كل منهما يحملق فى الآخر وفى هذا الصمت الرهيب بدات الدموع تتدحرج من عينى « ياسوا » ورفع يده ليمسح الدموع ثم استدار مبتعدا عن المنزل وقد أحنى راسه حتى لا تتاثر بالرياح الباردة التى تاتى من البحيرة .

ولم يستطع بيرتون هول ان يغلق الباب وراء هذا الرجل فقال له :

- ياسوا . تعال .

وشعر برهبة اذ خاف ان يسمعه احد وهو ينادى واحدا من اليابانيين ولكنه كرر دعوته وقال :

- تعال .

وعاد يا سوا مرتابا ووقف داخل الباب وانتظر فقال له بيرتون هول :

- تعال الى مكتبى .

واغلق الباب ثم سار معه الى المكتب ، وجلس « يا سوا » غارقا فى معطفه الكبير ثم شغل بيرتون هول نفسه باشعال النار ثم نظر الى ياسوا وقال له :

- اننى لا اعرف ماذا اقول فلم يتغير شىء بيننا فى الجوهر فيما عدا أن ...

فاومأ ياسوا وقال :

- كل شىء تغير عندك وليس عندى . انى اشعر بذلك ، اننى هنا لاقول لك اننى أدرك ذلك ولن اقول لك اغفر لى واغفر لبلدى فليس هذا ممكنا فانا لا استطيع ان اغفر لبلدى ، لقد هاجمونى

ايضا عندما قاموا بهذا الهجوم على امريكا واحب ان اقول انى احب امريكا مثل اليابان فانا لا اتغير ، انا فنان وكل ما افكر فيه هو الفن الخالد نفس الفن في كل مكان دائما ، وانا لست عدوا ولن اكون ابدا عدوا ، وانت لست عدوا لى فى قلبى ولن تكون ابدا ».

وقال بيرتون هول :

ـ اشكرك ، اعتقد ان الناس امثالنا يحاولون ان يقولوا نفس الاشياء فى بلدك وفى بلدى ويمكنك ان تستمر فى عملك كفنان ولكن بالنسبة لى : اننى مضطر لان اكون شخصا آخر الآن ، لا مجرد عالم ، واعتقد انه يجب الا يرى كل منا الآخر حتى تنتهى هذه الحرب الرهيبة ، وبلدك او بلدى هى المنتصرة ، ويجب ان تكون بلدى يا « ياسوا » مهما كانت التكاليف لان بلدك اختارت ان تقف بجانب العدو ، ليس عدوى فحسب بل عدوك ايضا .

واخذ الرجل اليابانى ينصت وعيناه سوداوان بالمأساة ، كان يريد ان يتكلم وان يكشف عن نفسه فقال :

ـ لسوف يحدث شيء حالا ، انا لا اعرف ما هو ولكن سيحدث شيء ، وقد يعيدوننا الى اليابان وحينئذ لن تكون لدى فرصة للصداقة مع امريكا ولذلك اريد الآن ان اتحدث عن كل صداقتى للامريكيين .

واخذ يقص قصته وكيف جاء الى امريكا وشعر بيرتون هول بقلبه يتمزق ودعاه ليتناول قدحا من القهوة ، وبعد ساعة غادر ياسوا المنزل واخذ بيرتون هول يراقبه من النافذة ويتذكر الآلاف من اليابانيين الذين جاءوا الى امريكا ونسيهم وهو يفكر فى مشروعه الرهيب وقال لنفسه انه ليس مسئولا عنهم . ان امامه مهمة واحدة وهو ان يصنع القنبلة باسرع ما يمكن . وعندما راى ياسوا للمرة الثانية كان « ياسوا » وراء الاسلاك الشائكة لمعسكر من معسكرات التعذيب فى صحارى الاريزونا .

كان البحث عن رجال يعملون معه هو المهمة التى تواجهه الآن • ويجب عليه أن يبحث عن علماء من الشباب وكلما كانوا أصغر سنا كلما كان ذلك أفضل ، تحت سن الخامسة والعشرين ان امكن فهو يريد عقولا جريئة لم تتعب بعد ذات خيال منطلق حتى تكتشف الأشياء غير المحدودة • ولكن كيف يستطيع أن يقنع ستيفن كوستت وكيف يواجه هذا الضمير الرقيق جدا • انه يريد هذا العالم الشاب فهو ذو عبقرية أصيلة فهل يخسره لأن اباه كان رجل دين ، وفجأة فكر فى جين فهى يمكن أن تساعده فهناك شىء بين ستيفن وجين أم ان ذلك من تصوره ؟• فامسك بسماعة التليفون وأدار رقم المعمل وكانت جين هناك رغم ان الوقت كان متأخرا وعرفت ان بيرتون هول هو الذى يتحدث فامسكت السماعة وقالت :

— نعم يا بيرت ماذا تريد ؟

فاجابها بيرتون هول بقوله :

— جين اننى اريدك أن تحضرى ، هل ستيفن عندك ؟

— لا ...

— حسن اذن اريدك أن تأتى لانى أريد أن أراك بمفردك والموضوع خاص بالعمل بالطبع وانا وحدى الآن فقد ذهبت مولى الى حفل •

ثم ضحك ووضع سماعة التليفون • لقد كان يحدث فى بعض الأحيان أن يوقظها من نومها ليقول لها انها امراة جميلة ورقيقة ولكن يبدو انه لا وقت لذلك الآن كما انها لا تملك الوقت أيضا لذلك الآن •

وكان بيرتون هول قد ومضت فى مخيلته فكرة رائعة فلم لا تعمل جين مساعدة له واشعل نار المدفئة واخذ يتجول فى القاعة جيئة وذهابا فى انتظار حضور جين والآن ان ما يجب أن تفعله جين اولا هو أن تقنع ستيفن أن يتولى توليد البلوتونيوم ••

وسمع جرس الباب يدق والقى بقطعة من الخشب فى النيران قبل ان يذهب ليفتح الباب وعندما فتح الباب وجـد جين تقف عنده في معطفها الفراء وشعرها الأسود يتطاير فى الهواء ودخلت وخلعت معطفها وقالت :

ـ لقد كانت المواصلات صعبة فالناس فى الشوارع تشترى حاجيات عيد الميلاد .

فقـــال :

ـ عيد الميلاد . لا تقولى لى اننا يجب أن نحتفل بعيد الميـلاد هـذا العـــام .

فقالت وهى تدفىء يديها :

ـ اننا لا نستطيع ان نتهرب من ذلك .

فتجاهل قولها وسالها :

ـ اتريدين شيئا تشربينه ؟.

فشكرته واجابت بالنفي وحينئذ امرها بالجلوس فجلست ونظرت اليه فى هدوء وقالت :

ـ ما الخبر ؟.

فقـال :

ـ اريد منك شيئين اولا لقد حصلت على منصب جديد فأنت من الآن مساعدتى وهذا يتضمن كل شيء فستكونين موضع ثقتى ولن امنع عنك اى سر وسلطاتك غير محدودة بالنسبة لى ويمكنك ان تناقشينى اذا رأيت اننى على خطـأ ولا تلقى بالا الى نوبات غضبى وسوف تقرأين خطاباتى . وقصارى القـول ستكونين كل شيء .

فتطلعت اليه بنظرة باردة متحفظة وقالت :

ـ الى متى ؟

ـ الى ان ننجز هذا المشروع وبعد ذلك نرى .

ـ هل هذا ضروري يا بيرت ؟
ـ بكل تأكيد .
ـ سوف أبذل ما في جهدي ويجب أن نبذل ما في جهدنا الآن.
وماذا عن الشيء الثاني ؟ .
ـ أعرف أنك وثيقة الصلة بالعالم ستيفن كوست اليس كذلك؟
فرفعت عينيها السوداوين :
ـ لا أعرف ماذا تعني بذلك فاذا كنت تعني علاقة شخصية فاني أجيبك بالنفي .
ـ هل لديك علاقة شخصية باي شخص آخر ؟.
ـ ربما لا . فليس هناك وقت لذلك .
ـ اذن فكري ماذا يكون عليه الحال عندما تتقدمين في السن وتصبحين عانسا تعيشين وحدك تفتقدين الحياة .
ـ قل لي ماذا تريد ؟.
فتنهد وهو يقول :
ـ اريدك أن تقنعي ستيفن بان يقوم بمهمة توليد البلوتونيوم فهو رجل محترم بالرغم من آرائه الدينية الغريبة .
ـ هل استقر رأيك على البلوتونيوم .
ـ ان كل شيء يشير اليه يا جين وبالطبع سنحاول أن نجرب كل شيء آخر ، لقد ضيعنا الكثير من الوقت في حجرات الاجتماع ويجب الآن أن نلتزم معاملنا فقد طلبني زيجني في العام الماضي وقال انه ضاق ذرعا . فلم ينجز اى عمل جديد في التفاعل المتسلسل بين أول يوليو عام ١٩٣٩ ومارس عام ١٩٤٠ وظل يستحثني أما فيرمي فقد سار في المقدمة ومضى يعمل ويبدو أن العمل في معامل بيركلي قد أعطـانا الدليل النهائي وهو اليورانيـوم الى بنتونيوم الى بلوتونيوم .
فقالت جين :

- أى يتحول يورانيوم ٢٣٨ الى بلوتونيوم معتمدا على عدد النيوترومات التى تنطلق نتيجة انشطار ذرة اليورانيوم ».

ورمقها بنظرة اعجاب وقال :

- لم افسر لك كل شيء .

فقالت فى هدوء :

- اننى على اتصال بفيرمى ولا تنس انه كان أستاذى فى اكولومبيا .

فحول الحديث وقال :

- جين لقد قررت اللجنة أول امس أن تمضى قدما فى المشروع وقد عاد اثنان من رجالنا من انجلترا وانت تعرفين من أعنى وهم يقولون ان البريطانيين يحرزون تقدما رهيبا بدوننا وقد قيل لهما أن النازيين قد طلبوا كميات هائلة من الماء الثقيل من النرويج ولو لم يكن ما حدث فى بيرل هاربور شيئا فظيعا لقلت انه شيء من الحظ والى لأعجب ماذا قال ستيفن عن هذا الحدث .

فقالت :

- اننى لم أر ستيفن ولكن أين سيصنع هذا الانتاج ».

فأجابها بقوله :

- سوف يصنع هنا فى شيكاجو فى بادىء الأمر على اية حال حيث اكتشفنا لأول مرة اليورانيوم ٢٣٥ والذى بدونه لا نستطيع أن نبقى احياء اليوم يا جميلة ، لذلك عليك ان تقنعى ستيفن بأن يتولى هذا العمل .

فقالت له :

- ساحاول .

وانتظر برهة لكى تكمل كلامها لكنها لم تقل شيئا آخر فجلس ينظر اليها امرأة جميلة رقيقة رشيقة فى أعماقها نيران خبيثة وتطلعت اليه ورأت نظرته المبتسمة المسددة اليها وفجأة قفز من

الكرسيه ورفعها بين ذراعيه وهو يتجاهل عينيها المندهشتين وتمتم :

ـ جين ...

وشعر بيديها تبعد وجهه وتدفعه بعيدا بقوة عنيفة وقالت :

ـ دعنى اذهب ..

واسقط يديه وخجل من نفسه وادار ظهره لها ثم بحث عن منديله واخذ يمسح وجهه ولم يستطع أن ينظر اليها ولكنه سمعها تقول فى ثبات ورصانة :

ـ اذا عملت معك فيجب ان تتحكم فى نفسك فالتحكم شىء ضرورى .

وحاول أن يضحك وسألته :

ـ متى ابلغك ؟.

فقـال لهـا :

ـ صباح غد فى التاسعة .

فقـالت :

ـ سوف أكون هناك فى المعمل ...

وخرجت جين ووقف بيرلون هول يتطلع الى البـاب المغلق ولعن نفسـه .

سأل ستيفن جين :

ـ متى اقابلك ؟.

واخذت جين تفكر أنه ما يزال غاضبا منها وهذا جميل فهذا يعنى أنه لن يفعل شيئا من اجلى وسوف يتخذ قرارا ضد رغبتى ان امكن وحينئذ لن أكون مسئولة . واتفقا على ان يتقـابلا مساء اليوم التالى فى احد المطاعم الهندية ووصلت جين الى هنـاك قبل الموعد المحدد لتختار المنضدة التى سيجلسان اليهـا قبل أن يصل ستيفن وحضر ستيفن وجلس فسألتها وقال :

ـ متى ستبدأ الحرب ؟.

فقالت ببساطة :

ــ لقد بدأت .

وبعد أن تناولا الطعام الهندى الذى اثار بعض الحديث عن الهند قالت جين :

ــ صتيفن أن بيرتون هول يريدنى ان اكون مساعدته وقد قبلت ذلك .

فقال لها :

ــ افعلى ما تشائين.

فقالت :

ــ وهو يطلب منك أن تكون مسئولا عن هذا الانتاج .

ــ لا استطيع ان افعل ذلك .

ــ سوف يتم انتاجه بدونك .

ــ بالطبع ولكن لن اكون مسئولا فى هذه الحالة .

ــ قد تكون مسئولا عن الطريقة التى يستخدم بها .

واعتدل فى كرسيه وقال :

ــ جين لا يجب أن نتجادل ، اننى مسئول عن شخص واحد وهو نفسى ، اننى لن أصنع سلاحا يقتل به الآخرون واذا كان هناك من يريد أن يصنعه فليصنعه اما انا فلا .

ــ اذن ماذا ستفعل ؟.

ــ سوف اعود الى معملى سوف أعكف على شىء لا يؤذى أحدا .

ــ يجب أن نتناقش فى ذلك لأن المادة المشعة يمكن أن تعالج كما يمكن أن تقتل وحتى فى القنبلة يمكن أن تنقذبدلا من ان تحطم وتدمر ولم يقل احد اننا سنستخدم القنبلة فاذا صنعناها واوضحنا اننا نمتلكها فربما تنتهى الحرب دون أن نستخدم .

فحملق فيها وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه وقال :

ــ منطق « الفرد نوبل » عندما صنع الديناميت .

ـ لقد كان الديناميت أسوأ متفجر يستطيع أن يصنعه فى هذه الأيام وستكون القنبلة أسوأ من ذلك بكثير حتى ان أحدا لن يستخدمها ابدا .

ـ هل تعتقدين ذلك ؟.

ـ نعم انني اشعر بما تشعر به ولكن لأني امرأة فانا عملية أكثر منك واعتقد اننا اذا جعلنا من الحرب شيئا رهيبا كما هى بالفعل وكما يمكن أن تكون فان الرجال سوف يوقفون القتال .

ـ وددت لو أصدق ذلك ياجين .

ـ ان هذا الانتاج سيصنع ، لا شك فى ذلك فنحن فى سباق رهيب وسوف يصنعه النازيون ان لم نصنعه نحن وهذه هى المشكلة ، اننا مضطرون الى صنعه ولكننا لسنا مضطرين الى استخدامه وربما نجربه حتى يستطيع العدو أن يرى ما لدينا .

وراح ينصت اليها وعيناه على وجهها وقال فى همس :

ـ كيف استطيع أن أقول انك على خطأ وكيف اعرف انني على صواب ؟ . فاعطني مهلة يا جين يجب ان اعاود التفكير .

ـ ليس هناك وقت يا ستيفن .

ـ حتى غد .

ـ ليكن ولكن هل تبلغ بيرتون هول بنفسك ؟.

فقال لها :

ـ نعم سوف ابلغه .

ثم نهض واقفا فلم يكن هناك شيء آخر يقال وترك النقود على المنضدة وسارا فى صمت ليفترقا عند الباب ولم يوصلها الى البيت فلم يكن يريد ان يسمح بأن يثار ادنى احتمال من وجود علاقة بينهما كرجل وامراة وقالت جين فى نفسها ان هذا افضل ولكنها فزعت فجاة اذ تحرك فى قلبها شعور غامض وغصة مفاجئة سببت

لها الما مفاجئا . ليس هذا مهما فليست اكثر من لحظة واحدة وقد اعتادت على هذه الوحدة .

ووصل ستيفن الى بيته وهو في حيرة • كان قلقا ولا يستطيع ان يفعل شيئا حتى هذه الأمسية لم يكن على يقين من صوابه في رفض الاشتراك في صنع القنبلة الذرية وكان يعرف موقفه موافقة جين على ذلك والآن هجرته جين ولم تهجره هو فحسب بل هجرت موقفه الاخلاقي ولو أنها كانت انضمت الى الجانب الآخر واستسلمت لأمر بيرتون هول لرضى بهذا الهجر ولكنها لم تستسلم ولكنها اتخذت موقفا اخلاقيا آخرا جديدا حتى انه لا يستطيع أن ينكر ان هناك شيئا فيما قالته لقد وضعت على كتفيه عبئا آخـــر : فالقنبلة سوف تصنع وهى على حق حتى الآن ومهما يكن مايفعله فلن يستطيع أن يمنع ذلك ومع ذلك فاذا صنعها رجال ليس لديهم أى وازع عن استخدامها الن يشاركهم جريمتهم الاخلاقية هذه واذا عمل معهم كما قالت جين واثر فيهم الا يستطيع أن يقنعهم بان يعلنوا عن هذا العمل دون أن يستخدموه في هجوم خاطف يفوق الهجوم على بيرل هاربور في دماره وهلاكه الحياة البشرية . واركن براسه على حشيه الكرسى وندت عنه صرخة الم واغمض عينيه ولم يستطع ان ينكر ان المنطق يقف الى جانبها فهو منطق عملى على النقيض من مثاليته الاذانية .

نعم لقد حاول أن يهرب الى مثاليته ولكن جين اكتشفت هـــذا وواجهته به انها على حق بالطبع وعليه الآن أن يقرر كيف يستغل خدماته في صنع القنبلة ودخلت عليه هيلين ونظرت اليه وقالت :

ــ هل تخفى شيئا ؟ .

فاجابها بقوله :

ــ انا لا اخفى شيئا • سوف اقول لك كل شيء ، سوف اسهم في صنع القنبلة وانا مقتنع بذلك فكل شيء قد تغير الآن يا هيلين، بيرل هاربور غيرت كل شيء ، فما كان ممكنا ليلة اول امس اصبح

مؤكدا الآن وليس هناك من مفر والأمل الوحيد المتبقى هو أننا اذا صنعنا القنبلة فيمكن أن نبلغ الناس اننا صنعناها كمـــا نعرفهم بما يمكن أن تفعلههذه القنبلة، فقد يكون هذا كافيا كتهديد وليس كسلاح وانا لم أفقد اهتمامى ولكننى غيرت مركزه وبما ان القنبلة يجب أن تصنع فان واجبى أن افعل كل ما أستطيع للحيلولة دون استخدامها •

واعربت هيلين عن فهمها لما يتحدث عنه وصـــعدا الى اعلى لتحتويهما حجرة النوم • وبعد يومين كان بيرتون هول يتحـدث مع جين من مكتبه فى الجامعة ويقول :

ـ احب ان أعرفك أن اللجنة قد اجتمعت بمندوب من رياسة الجمهورية وآخر من وزارة الدفاع وكانا يبصتان ونحن نتحـدث ولكننا افترقنا على وفاق ومهمتى ذات شقين فأنا مسئول عن تصميم القنبلة ذاتها وصنعها بعد ذلك وسوف أحتاج الى مئات الأرطال من البلوتونيوم ولكن كيف أحصل عليها ؟• وهناك ثلاث مشـكلات وهى : كيف نحدث تفاعلا نوويا متسلسلا باليورانيوم العادى الذى نستطيع الحصول عليه وكيف يمكن استخلاص البلوتونيوم الناتج من هـذا التفاعل من اليورانيـوم الذى يكمن فيه وكيف نصـنعه بالدرجة التى لا بد منها لصنع القنبلة ؟•

فقالت جين :

ـ سوف نستخدم الجرافيت الذى يقول به فيرمى لنستخدمه كمهدىء ثم ان الماء الثقيل يستغرق وقتا طويلا لصنعه كما اكتشف ذلك الألمان أما البريليوم فمن الصعب جدا الحصول عليه •

فقال بيرتون :

ـ ولكن هل أثق فى تجارب فيرمى التى اجراها فى كولومبيا انها تجارب قليلة ؟•

فأجابت : لقد اظهرت كيف تكثر النيوترونات •.

فتنهد بيرتون وقالت جين :

ـ ان فيرمى سوف يقوم بذلك •.

وسكت بيرتون هول قليلا ثم قال :

ـ اننا لا نستطيع أن تجازف ونعتمد على طريقة واحدة لصنع القنبلة ويجب ان نفعل كل شيء في وقت واحد لذلك سيبدأ بالعمل باربع طرق ويمكن ان تسميها أربعة جياد في سباق ولينتصر الفائز وهذا هو السبب في أنني أريد ستيفن كوست ليتولى تنفيذ الطريقة التي أراهن عليها .

فقالت :

ـ سوف يكسب .

فقال لها :

ـ أنت أدرى بالطبع .

ولم تجب على ذلك .

وواصل بيرتون هول بعد أن رمقهو بنظرات جانبية حادة قوله :

ـ فنقوم بتجارب الانفصال المغناطيسي في احدى الجامعات والانتشار الغازى في جامعة اخرى والانفصال المركزى في معمل ستاندرد اويل ولكن بالاشتراك مع جامعة ثالثة أما ستيفن كوست فيعمل هنا في شيكاغو تحت بصرك وبصرى وهؤلاء جميعا ليسوا في حالة تنافس فالتعاون يجب أن يسود بينهم فليس هناك شيء شخصى الان في العالم كله وأعرفك أن اللجنة سوف تجتمع كل أسبوعين في واشنطن على المستويات العليا بالطبع وفي سرية تامة ولكن سيكون معنا اكفأ الرجال من اوربا وانجلترا ونحن على استعداد لأن نمضى في الطريق ، لقد دخلنا الحرب منذ ستة شهور وقد استولت اليابان على الفيليبين وسنغافورة وسوف تستولى على اندونيسيا بعد ذلك أما النازيون فقد استولوا على أوربا ويحاول الثعلب رومل أن يستولى على شمال افريقيا ، انني لم أنم منذ اسابيع ، وماذا كنت سأفعل بدونك .

وتثاءب وارتكن في كرسيه الى الوراء وراح في النوم على الفور ولم يوقظه من نومه سوى رنين التليفون الذى أمسك بسماعته على الفور ليستمع الى زوجته تسأله عما اذا كان سيحضر الليلة الى

البيت ، وتبلغه أن واشنطن قد اتصلت به ثم ألقى بسماعة التليفون بعد أن أبلغها أنه لن يحضر ثم تحدث مع فان الذى طلب منه أن يراه غدا لأمر هام ثم قام وذهب الى الحمام ليضع رأسه تحت الماء حتى يفيق ثم عاد الى مكتبه وطلب جين وسألها :

– ألم تنامي بعد ؟ •

– لا • فأنا أتوقع أن تناديني •

– انه يجب أن آخذ القطار التالى الى واشـــنطن وعليك أن تركبي الطائرة في الصباح وتقابليني في الفندق •

وبعد ساعة كان يستقل القطار الى واشنطن التى ما ان وصل اليها حتى ذهب لتوه الى مكتب فان كبير مهندسى الحكومة الذى كان ينتظره فيمكتبهورحب به فان وعرضعليه تقريرا من المخابرات العسكرية يقول ان هناك بعض الأشخاص ذوى الميول الهـــدامة يعملون في المشروع وكثر الجدل بين بيرتون هول وفان وأخيرا حسم فان الموقف بقوله :

– ان رئيس الجمهورية قد اتخذ قرارا بأن يوضع المشروع كله تحت اشراف رجال الجيش واشراف الحكومة •

وحاول بيرتون هول أن يعترض على ذلك ولكن فان قال له :

– يجب أن ينفذ ذلك • ولا داعي للجدل وقد نوقش هذا القرار على المستويات الكبيرة بعد أن قرره الرئيس •

وتلعثم بيرتون هول وهو يشعر باليأس وقال :

– ان هذا يتعارض مع تقاليدنا والعلمـاء الذين يعملون معي ولن يعملوا في ظل هذا الاشراف انك لا تعرفهم مثلمـــا اعرفهم وأنا واحد منهم ثم ان وظيفتنا هي الثورة على القواعد والروتين• فقال فان مقاطعا :

– هذه مشكلتك وليست مشكلتي كما اني أريد منك ان تقابل الجنرال الذى يتولى هذا الموضوع وسوف تذهب اليه في مكتبه •

وتبعه بيرتون هول الى مبنى آخر والى مكتب آخر وخلف المكتب الكبير كان يجلس رجل ضخم في زيه العسكري وقدم فان بيرتون هول بقوله :

ـ دكتور بيرتون هول أكبر علمائنا »

وقال الجنرال :

ـ انني سعيد بمقابلتك يا دكتور هول »

ثم تركهما فان وحدهما وانصرف •

وفي المساء وفي الفندق أخذ بيرتون هول يحكي لجين مقابلته مع الجنرال وكيف أنه قد استقر الأمر عن أن يتولى العسكريون والحكومة الاشراف على الموضوع وكيف انهم ـ أي العلماء ـ قد أصبحوا مكلفين مثل الجنود تماما كذلك سرد على مسمعها كيف أن الجنرال قد صمم على أن ينتج القنبلة على نطاق واسع وكيف أن العلماء غير مسئولين عما تتطور اليه هذه الصناعة وقد قال له بيرتون آنذاك :

ـ اننا نقبل مسئوليتك للمشروع ولكننا لا نستطيع أن نتملص من مسئوليتنا عن اطلاق الطاقة الذرية ، انه يجب ان يكون لنا رأى في تطوير واستخدام ما اكتشفناه بأنفسنا ولا يستطيع احد أن يعفينا من ذلك •

وبعد أسابيع طلب الجنرال أن يقابل المسئولين في الجامعة والعلماء وعائلاتهم وكان يقول :

ـ انني اريد أن اعرف الرجال الذين أعمل معهم واريد أن أعرف زوجاتهم على وجه الخصوص فيمكنك ان تعرف الكثير عن الرجل اذا عرفت زوجته وقد قص بيرتون هول على جين في مكتبه ما حدث أيضا في ذلك اليوم وضحكت جين في رقة ثم اخرجت خطابا من حقيبتها وقالت :

ـ يهمك بالطبع أن تعرف أنني تلقيت اليوم خطابا من الهند من رجل اعرفه هناك يعمل بالكيمياء الحيوية فقد كنا معا في

مدرسة واحدة عندما كنا أطفالا ولم أره منذ سنوات وهو يقول لى فى خطابه انه تلقى تقريرا من المانيا عن طريق اليابان يفيد بأن العلماء الألمان يقولون بأن العلماء الأمريكيين لا ينوون صنع القنبلة وهم يعتقدون ذلك لأن العلماء الأمريكيين فى المؤتمر الدولى الأخير لم يتحدثوا عن النواحى العسكرية للانشطار النووى وأعتقد أن هذا سيفرحك •

فقال لها :

ـ بالفعل لقد توقفنا عن الحديث عن الانشطار النووى أو الكتابة عنه كما تعرفين وقد كنت حريصا على ذلك حتى فى الندوة التى عقدتها حول الأشعة الكونية فقد تحدثنا عن كل شىء مع العلماء الألمان فيما عدا الدفاع •

فقالت جين :

ـ ان هذا يختلف كثيرا عن علمائنا الأمريكيين الذين عادوا من برلين هذا العام ألذكر •

فتنهد بيرلون وهو يقول :

ـ هل أذكر ؟•

ـ انشطار النظائر هو الطريق المباشر للقنابل الذرية !• ولكن كيف يقول فيرمى انه يشك فى أن الألمان يصنعون هذا السلاح الرهيب ، هل تعتقدين أنه على حق يا جين ؟ مائة فى المائة ؟•

فقالت :

ـ طبعا على حق اننى اذا شككت فيه فاننى أشك فى نفسى وفيك أيضا •

وهنا قطب ما بين حاجبيه وتظاهر بالغيرة العنيفة فضحكت جين مرة أخرى وأومض فى عينيها بريق من الرقة والعذوبة ، انا

هناك شيئا جميلا فى هذا الرجل الكبير شيئا مؤثرا ربما كان يمكن أن تحب مثل هذا الرجل لو كان الحب ضروريا •

ولم يعد يستطيع بيرتون هول أن يتملص من الجنرال أو يهرب منه بعد أن أصبح مشرفا على المشروع • وكان هذا الجنرال لا يفتأ يستدعيه ليصدر اليه الأوامر ويلقى اليه بالتعليمات عما يجب أن يتم •

وما كاد يمضى يوم واحد على المقابلة الأخيرة بينهما حتى استدعاه ليأمره بمقابلة كريستوفر ستارلى نائب المدير التنفيذى لشركة « كانادى فاريل » التى ستتولى الانتاج على نطاق واسع • وقال ستارلى :

— يجب أن يعرف الجنرال وأنت أيضا أن المشروع كبير • ويجب أن تصمم المصانع الكبيرة لذلك ، وان نتطور بأشياء جديدة لا نعرف عنها شيئا حتى الآن • واننى لأخشى أن تنتهى الحرب ونحن لم نعمل فى المشروع •

ثم استدار ستارلى الى الجنرال وقال :

— سوف نبدأ العمل فى اللحظة التى يقدم لنا فيها العلماء الانتاج •

فأعلن بيرتون :

— سوف يكون لديك فى خلال ستة شهور •

وفى اليوم التالى ، وكان يوما من أيام نوفمبر ، استمع ستيفن كوست الى قصة هذه المقابلة تعاد على مسامعه • وانصت فى اهتمام الى أن اعلن بيرتون هول عن قراره النهائى •

وبعد ذلك تحدث ستيفن وعيناه تنظران خارج النافذة :

— اعتقد اننا يمكن أن نحدث التفاعل المتسلسل هنا فى شيكاغو •

— وما هو تحليلك لذلك ؟ •

ـ باختصار ، ان التحكم هو العامل المهم ، كمـــا تعرف • واحتمال التحكم يكمن فى هذه النيوترونات القليلة المتـــاخرة فى عملية الانشطار ، هذه النيوترونات التى لا تنقسم على الفور ولكن تنقسم بعد عدة ثوان • وانت تعرف ما يعنيه هذا عندما تكـون الظروف مناسبة لتفاعل متسلسل ثابت • وهناك فترة من الوقت فى عملية الانشطار وهذا يعطينا فرصة فى التعديل • لقد فحصت تقديرات فيرمي مئات المرات • وسوف نعمل فى ظروف تكاد تكون ثابتة حتى انه سيكون لدينا عدة دقائق قبل أن يضاعف التفـاعل من قوته • وسيتيح لنا ذلك الوقت لكي نتحكم •

ولغر بيرتون هول فاه :

ـ ولكن شيكاغو فى وسط مدينة كبيرة •

فقال ستيفن :

ـ لست ادرى ماذا يمكن أن يحدث من خطأ • سوف نجعـل التفاعل يمضي فى بطء ، لذلك لن تكون هناك فرصة لان يخرج من تحت سيطرتنا •

وشعر بيرتون هول بالضيق والقلق واعرب عن رغبته فى ان يذهب الى العمدة او الى مدير الجامعة او الى أى شخص •

ولكنهم جميعا سيرفضون • فاى شخص عاقل سوف يرفض، لأنه لا يستطيع ان يتحمل المسئوليه •

ولم يجب ستيفن • وجلس لا يتحرك ، يداه فى جيوبه ،وكان يحملق عبر النافذة • وكان يشعر بصداع غامض ، وبألم عميق • وتنهد بيرتون هول فى يأس مباغت ثم قال :

ـ سوف أتحمل انا هذه المسئولية • ليس هناك شخص آخر يتحملها . امض فى طريقك يا ستيف .

وفتح الباب فى هذه اللحظة وظهرت جين ايرل على الباب • واخذت تنقل بصرها بينهما ، ولكن كلا منهما لم ينظر اليهـــا • فتراجعت واغلقت الباب مرة أخرى •

نزع ستيفن الترمومتر من فمه ونظر اليه وقال بامتعاض :
ـ مائة وثلاثة .

فقالت هيلين :

ـ اذن لا يجب أن تقوم من السرير

ـ يجب أن أنهض .

ـ لا تستطيع ... واذا سمعت كلمه اخرى فسوف أبعث الى بيرتون هول لكي يحضر .

ـ انه في نيو مكسيكو .

فقالت :

ـ هل هذا يهم ؟.

ثم اختفت بسرعة ورقد هو في سريره مغيظا . فمن كان يعتقد أنه بمجرد ان يطير بيرتون هول منذ ثلاثة أيام الى مكان غير معروف في الصحراء أن يثور أربعة من زملائه العلماء ، الذين كان يمكن أن يقسموا على مساعدته وتعضيده ، على شيكاغو كمكان تجري فيه هذه التجربة الهائلة .

لقد قال له بيرتون هول وهو يتركه :

ـ ان الأمر كله في يدك يا ستيف .

ان الأمر كله في يده . وهو الآن راقد في سريره يعـــانى من الانفلونزا . ان الاجتماع الذى سيقرر كل شيء كان يجب أن يكون في مكتبه بعد ساعة من الآن . ولم يجرؤ على أن يتحدى نفســــه ويغادر الفراش . فمن المهم أن يكون في صحة جيدة .

وجاءت هيلين بطبق من الحساء لم يكن لديه رغبة في تناوله . وتحدث مع الرفاق حتى يحضروا اليه . وبعد نصف ســـاعة كان اربعة من الرجال يجلسون حول سريره ، وكلهم علمــاء يجب أن يحترمهم بل وفي حاجة اليهم أيضا . ومنطقهم يتعارض مع منطقه ، ولكن هذا المنطق يجب أن يحترم .

ـ ان المركز الرئيسي لهذا العمل في كولومبيا الآن .

- أوبرلستون •

- الان ما معنى المجيء به هنا ؟•

- ان مسير العمل هنا بطيء جدا يا ستيف • انك لن تحصل على التفاعل المتسلسل هنا فى شيكاغو •

فقال ستيفن :

- سوف يكون قد حدث فى نهاية هذا العام •

- أراهن أنك لن تستطيع • أراهن بألف دولار •

- وأنا موافق أمام هؤلاء الشهود •

ثم وقف وقال :

- تعتقدون أيها الرفاق اننى لست جادا • اننى جاد • وقد استمعت الى منطقكم • فالمعمل والمكاتب هنا جيدة • وتذكروا اننى مسئول عن المشروع • انه يجب أن يكون حيث أستطيع ان أشرف عليه • ويمكن أن آتى بالعلماء هنا ووزارة الدفاع قد جمعت كل الرجال الأكفاء على الساحل الشرقى • ولا أعرف من أين أجسد رجالى هناك • ولا تنسوا أنه حيث يوجد رجال توجد عائلات ويمكن أن نجد سكنا هنا • والأهم من ذلك أننا لا نكون عرضة للقنابل مثل المرافىء الساحلية •

وكان الدم قد تدفق الى مخه • فشعر بالحمى ترتفع ، وجسده يزداد حرارة • فرقد على الوسائد.•

- سوف أقرر وهذا شيء نهائى • سوف نبقى فى شيكاغو • هنا سنفعل كل شيء •

وساد الصمت وفجأة تكلم أحد العلماء :

- ولكنك نسيت شيئا هاما وهو أن فيرمى فى نيويورك ونحن لا نستطيع أن نعمل بدون فيرمى ، فقال ستيفن :

- سوف يأتى فيرمى الى هنا •

وفتح عينيه الملتهبتين وحملق فيهم متحديا اياهم أن يجيبوا • ولكنهم لم يقولوا شيئا ، ثم ودعوه وانصرفوا •

وعندما انصرفوا امسك بسماعة التليفون وطلب فيرمي مكالمة شخصية • وتحدث مع فيرمي • وبعد خمس عشرة دقيقة حصل على الوعد الذى يريده • ثم وجد هيلين وهى تمسك بطبق الحساء فأخذه منها وقال :

ـ سوف أشربه لقد كسبت هذه الجرب الخاصة •

ارخي بيرتون هول العنان لجواده .. كان هواء الصحراء صافيا وباردا فقد كان الجو خريفا وكانت الجبال تتراءى أمامه على بعد وقال لجين :

ـ اننى آتى الى هنا لأنى أشعر اننا سوف نستخدم هذا المكان وعلى الأخص هذه البقعة التى على مرمى البصر وأنا لا احب أن آخذك الى هناك لانى أخشى كلام الناس فى هذه المنطقة ولكنه مكان مثل القلعة وهو ملائم جدا للتشطيبات النهائية وباركيز لديه التصميم اما ستيف فلديه المعدات وعندما تتم هاتان العمليتان وتجرى التجربة الكبيرة تحت اشراف فيرمى ونكون أنا وأنت هناك للتشطيبات فحينئذ سنكون على استعداد لأن نمضى قدما وسنصنع السلاح » فسألته جين :

ـ وبعد ذلك •

فقال فى ابتهاج :

ـ حينئذ يا فتاتي الصغيرة سوف اذهب بعيدا فعندما تصنع القنبلة سوف اعتزل كل شيء أخشاه وامقته وسوف افعل كل ما احبه وافرح به وأرضاه وسوف يشتمل هذا على كل شيء وأكثر مما تعتقدين يا فتاتي الطويلة •

فابتسمت له • فهذه الشهور التى عملتها تحت اشرافه الرائع كادت أن تقربها من حبه وهى تعرف ذلك تماما ولم تحدث بينهما كلمة ولكنهما اقتسما الشيء الكثير وعندما نظرت اليه الآن عرفت أنه سيكون من المستحيل فى يوم من الأيام أن تقاومه ويجب أن تستعد لذلك اليوم وتلك الساعة التى تنطلق فيها التوترات المتجمعة عن عملهما المشترك ويجب أن تكون على ثقة من نفسها ثقة بانها تعرف ما تريد وفجأة سألها بيرتون هول :

ـ هل تحلمين ؟

ـ أحـــلم ؟

ـ نعم تحلمين ...

ـ انني لا أحلم أبدا .

ـ ولكن عينيك عينا انسانة حالمة .

ـ يحتمل أنها تحلم في النيوترونات ؟

ـ انك لا تستطيعين أن تهربي مني بهذه الطريقة فالنيوترونات هي السر يا فتاتي وبدونها لا نستطيع أن نحول العناصر ونجعل من احلام رجال الكيمياء حقيقة في النهاية فليس هنـاك انفجار بدون نيوترونات . وضحكا معا وقال :

ـ أستطيع أن أحبك أيتها المرأة ، أعني أحبك حقا فأية متعة يمكن أن تعادل ما نســتمتع به ؟ فأنا أتحدث وأنت تفهمين وأنت تتحدثين وأنا أفهم ، وهـــذا يكفي أليس كذلك ؟ ولكن النســوة يضيعن وقتهن في الأحمر والمساحيق وكل هذا الكلام الفـــارغ فعندما يجيب عقلك على عقلي في التو واللحظة فانني استطيع أيتها الأنثى الفريدة أن ...

فقاطعته قائلة :

ـ انتظر ، انتظر .

وتبادلا نظرة طويلة واقترب بجواده من جوادها حتى تلامست ركبتاهما وقالت :

ـ لا يا بيرت لا أجرؤ .

ـ ولم لا .

ـ أنا لا أثق بنفسي .

ـ بالتأكيد فلست أنا الذي لا تثقين به .

والقت اليه بنظرة قلقة وهمزت جوادها حتى وكض يســبقه وارتفع بينهما التراب الذي أثارته اقدام الجواد الراكض .

كان ستيفن كوسنت يرتعد في برد ديسمبر وهو ينتظر الترام . كان اليوم الثاني من الشهر ومع ذلك كان الجو باردا مثل منتصف

الشتاء تماما . وكانت حرارته قد انخفضت عشر درجات . وكان قد ترك السيارة لزوجته فان عليها أن تقوم بعدة زيارات للعائلات التي تحت رعايتها وذلك منذ ان جاء العلماء بعائلاتهم الى شيكاغو كان هناك أطفال صغار يجب أن يؤخذوا إلى المستشفيات ، كما كان يجب أن تقوم بشراء بعض الحاجيات للأمهات اللاتي لديهن أطفال صغار ، وكان الترام مزدحما . بل ان الانباء من الخارج كانت سيئة . وأخيرا استطاع أن يشق طريقه بصعوبة الى احدى المركبات في الترام وحشر نفسه بين الناس . وكان مرهقا من الأرق . لقد ترك التجربة منذ ساعتين ليذهب الى المنزل ليغتسل ويأكل وينام لمدة ثلاثة ارباع الساعة . بينما كانت هيلين تجلس بجوار التليفون خشية أن تكون هناك مكالمة من احد . وكان يجب أن يغتسل يوما بأكمله حتى يزيل الجرافيت من فوق بشرته . وكانت اظافره سوداء مثل اظافر الذى يعمل فى منجم للفحم . وسألته هيلين :

ـ لماذا تتسخ هكذا ؟.

فاجابها فى جد وصرامة حتى انها لم تعاود السؤال :

ـ أود ان أقول لك كل شيء .

وعاد ليرقب التجربة . وجاء عدد من العلماء . وعبر المكان رأى بيرتون هول ثم رأى جين . ولم يكن قد رآها منذ شهور . وأوما لها انها مع بيرتون هول كل يوم . وكيف يكون رجل عاطفى وحساس بالرغم من ذكائه معها كل يوم ولا يقع فى حبها ؟. وبما أنها ما تزال مع بيرتون هول فماذا يعني هذا سوى أنها استجابت له ؟.

واستدار بظهره اليهما ، وحينئذ وجد بيرتون هول بجانبه ، وكان مضطرا لأن يصافح يده الممتدة اليه . وقال بيرتون هول :

ـ انني لم اكن لاترك هذه الفرصة مهما كان الأمر ياستيف . فهذا أعظم يوم فى تاريخ البشرية ؟.

ـ فقال ستيفن فى تشاؤم :

ـ يحتمل أن يحدث خطأ .

ـ انني اراهن عليك وعلى فيرمى .

ـ شكرا .. ان التجربة تنجح على الورق ، ولكن من يعرف ؟ ..

وسار ستيفن ، غير مستطيع أن يتحمل الحديث ، واخذ يتفحص بعض الاجهزة . لقد ازدادت سرعة عداد النيوترون بالامس ، واستيقظ فيرمى فى الليل ليستمع الى الانباء ، واعد كل شيء لتجربة هذا الصباح .

ووقف فيرمى امامهم الآن وقال :

ـ لقد وصلنا الآن الى الهدف الذى نسعى اليه منذ فترة طويلة لقد بدأ التفاعل المتسلسل . اننا نجرى الآن أعظم تجربة . ويجب ان نعرف أنه لا يجب أن يبدأ التفاعل المتسلسل فحسب بل يجب أن نعرف كيف نوقفه كذلك .

وبدأت التجربة واخذ ستيفن يصدر أوامره الى العاملين ، ومرت دقائق ، وصمتت القاعة الكبيرة فيما عدا دقات الآلات .. ودوران المحرك ، ونظر الى جين ، كانت ترتكن الى الحائط وكان وجهها ابيض وعيناها سوداوتين . ولم تنظر اليه ، اما هو فقد ابعد نظره عنها . وفجاة صاح فيرمى :

ـ ضعوا قضبان الأمان . . لقد تم التفاعل .. وأمكن ايقافه ، وانتهى ما حدث .

وأخذ فيرمى يفكر فى الخطوة التالية ، اما بيرتون هو فقد ذهب الى التليفون . وسمعه ستيفن يتحدث ويقول :

ـ لقد هبط هذا البحار الإيطالى فى العالم الجديد .

وشعر ستيفن بأنه يريد ان يبكى . فالاعياء وعدم التشجيع والقلق الذى اصابه فى الأسابيع الماضية ، ظهر فجاة مختلطا بالارتياح والاباء وفرصة النجاح . كان حزينا جدا . . وتمنى لو انه فشل ! فماذا سيفعل الرجال بنجاحه ؟ والى اى مدى يعتبر مسئولا عما قد يفعلونه ؟ .

وكان الجنرال يتحدث مع فيرمى الآن عند الباب لا شيء سوى الانتصار على هذا الوجه المتالق . وفجاة وجد يدا تلمس كتفه . . كان « ستارلى » رجل الصناعة الشاب الذى قابله اليوم فحسب وكان وجهه الانيق يتالق وهو يتحدث :

- انني اهنئك ياكونست .

وشكره ستيفن وشعر بالهدوء للحظة . واخذا يتحدثان قليلا ثم نظر ستيفن الى الفرن وابتسم مرة أخرى ثم سار فى رشاقة مبتعدا عن المكان . ولكنه توقف فجأة واخذ يحملق الى الفرن وسمع صوت بيرت بجانبه وقالت :

- لقد فعلتها ياستيفن

ولم يدر راسه وقال :

- ارجوك لا تهنئينى .. لا استطيع ان أتحمل ذلك فى هذه اللحظة .

ولم تجب ، ولكنه شعر بيده فى قبضة يديها الدافئتين ، ونظر اليها مندهشا ووجد وجهها رقيقا وناعما . ووقفا لحظة يدا فى يد وفى هدوء سحبت يدها وتركته لتتبع بيرتون هول .

الكل غادر المكان وتركه وحده ، فيما عدا هذا الفرن حيث تحترق نيران أقوى مما يمكن ان يتصوره انسان . ولكن الانسان ، فى جهل سعيد ، لم يعرفها حتى اليوم . والآن ، وقد عرفها لا يمكن أن يخلد للجهل مرة اخرى .

وفجأة نهض ستيفن ، وهو لايستطيع ان يتحمل هذه الوحدة واسرع الى بيته وقال لزوجته :

- سوف أذهب لانام .. لا توقظينى مهما يكن من أمر »

- ٣ -

وفى منطقة « تينيسى » ذات الجبال المنخفضة كان الربيع قد اشرق مرة اخرى . وفى الوادى الكبير كان ستيفن كوست ينصت الى المقاول وهو يشرح له ، وهو يفرد أمامه بعض الرسومات ، كيف سينشىء هذه المدينة الجديدة التي ستبدأ فيها الخطوة التالية .. واخذ يحملق فى المنطقة البيضاوية الشكل حيث سيقام الجهاز الكبير الذى سيقوم بالعمل ، وهو الانفصال المغناطيسى لنظائر اليورانيوم . وفى الاسبوع الماضى كان قد خطرت له فكرة عن

المغناطيس . وكان النحاس هو المشكلة . واخذ يفكر فى هذه المشكلة

ان الحرب تستنفد الموارد القومية من النحاس وهو يريد النحاس للمغناطيس وبكميات كبيرة . ولكن لايمكن ذلك . فاخذ يستعرض المعادن التى يمكن ان تتحول . ان الفضة يمكن أن تتحول ، ولكن أين يمكن أن يجد ما يكفى من الفضة ؟ وحينئذ تذكر الاحتياطى الكبير من الفضة فى وزارة الخزانة الامريكية . ولم لاتستخدم هذه الكميات يستعيرها ثم يردها دون أن تفقد شيئا ؟ ومضى بفكرته الى الجنرال، ولم يستطع مقابلته فتحدث مع مساعده الذى دهش لهذا الطلب . وبعث بالطلب الى وزارة الخزانة ووفق عليه على شرط أن يعود هذا المعدن نفسه . . وجاءت هيلين من اعلى التل من الغابات ، وفى يدها بعض الورود وقالت :

ـ اريد بيتى هنا ، وسوف احبه أكثر من شيكاغو ، لقد كنت أريد دائما أن اعيش على تل بجوار نهر .

فقال المقاول وهو يشير الى مكان على الرسم الذى أمامه :

ـ سيكون هنا منزلك ياسيدتى .

وعلى طول الطريق وهما عائدان الى شيكاغو كانت تتحدث عن المنزل . وقالت :

ـ ليس هذا منزلنا الحقيقى ياستيف ، كما انه ليس ذلك الذى ستشتريه لى فى يوم من الأيام ، ولكن يمكن أن يكون بيتا مؤقتا ، وسوف أجعل منه شيئا جميلا .

ولم يتحدث معها عن مهمته ، وعن الاسرار الكبيرة التى يعتبر مسئولا عنها الآن . ومع ذلك كان يتوق لأن تقتسم معه بعض حياته لقد حدثته جين ماذا يعنى أن تكون هناك امرأة تستطيع ان تقتسم معه حياته العلمية الداخلية . وقال على الفور :

ـ اننى اريد المساعدة . انك بتحويلك المنزل الى شىء جميل ، فانك تحفزين الاخريات على ان يفعلن الشىء نفسه . فالرجال

ليسوا اسعد ابدا من زوجاتهم .. هل تعرفين ذلك ياهيلين ؟ فامراة ساخطة يمكن أن تقضي على عمل أى رجل . لقد رايت ذلك يحدث مرة ومرة في العمل . ولانستطيع أن يكون بيننا رجل يعـــوقه عن العمل متاعبه فى البيت . الا تسمعين النسوة وهن يعربن عن شكواهن من هذه البيوت الخشبية القبيحة وانهن بعيدات عن بيوتهن وكـــل ما اعتدن عليه ؟ سوف تكون هذه المهمة كبيرة بالنسبة لك ومهمـــة جـــدا كذلك .

وفى شهر ديسمبر اعترف بان هيلين ذات قيمة كبيرة له وانتقلا الى المنزل الخشبى الصغير وفى شهور مابين الربيع والشتاء انتهى بناء المصنع وتم تشغيل المغناطيس الكبير كذلك تم بناء المفـــاعل الجديد واخذ ستيفن يفكر فيما بينه وبين نفسه ويقول ان هـــذا المبنى ليس جميلا فى شكله ولكنه جميـــل فى طاقته ففيـــه امل المستقبل للانسان عندما تنتهى هذه الحرب اللعينة وجاء الجنـــرال لزيارة المدينة الجديدة التى كان يتدفق اليها كل يوم وفير من الناس حتى اصبحت فى النهاية تضم خمسة وسبعين الف نسمة وشيدت مدارس اخرى وبنيت الكنائس وبعض المستشفيات ومسرح صغير وناد للموسيقى .

وفى هذه الاثناء لم تستطع جين ان تبقى فى عملها اكثر من ذلك وطلبت من بيرتون هول ان يعفيها من منصبها كمساعدة له وكثيرا ماناقشـها فى هذا الموضوع واستعطفها بل واتهمها بانها تحب شخصا آخر ولكنها كانت تنكر ذلك كله وتقول :

ـ انك عالم يابيرت ويجب أن تدرك ان العالم لايكون سعيدا الا اذا كان فى عمله هو .

فاجابها بغضب :

ـ ولكنـــك امرأة .

فصرخت فى غضب :

ـ اننى عالمة قبل كل شىء متى تعرفون ماذا نستطيع أن نفعل دون النظر الى من نكون ؟ يجب أن أذهب .

وازاء تصميمها سالها :

ـ أين تريدين أن تذهبى ؟ .

فاجـــابته :

ـ اريد أن أعمل فى المشروع الجديد فلدى أفكار جـديدة عن البلوتونيـــوم .

فتركها وذهب الى ستيفن كوست فى معمله ودار بينهما حديث عميق فكل منهما لم يقابل الآخر منذ عدة شهور وقضيا اليوم فى التنقل من مبنى الى مبنى وانتهيا الى مصنع الانتشار الغـــازى الجـديد وهو على بعد أميال من المدينة الجديدة ثم استـدار الى

بمفاعل الجرافيت ووقفا أمامه طويلا ينظران اليه في رهبة وحب ، وكان هذا المفاعل يعمل منذ شهور على خير مايرام وقال ستيفن :

ـ عندما تنتهي هذه الحرب سننتج نظائر البحث في كل مناحي الحياة البشرية ، من علم الاحياء والطب والزراعة والصناعة متى ستنتهي هذه الحرب يا بيرت ؟

ـ بعد ان تنتهي مهمتنا بيوم واحد .

ـ ومتى هذا اليوم ؟

ـ لم يحدد بعد فالجنرال لا يتحدث عنه وكل قرار يتخذه يقوم على أساس الوقت واذا تأخر المشروع يوما فانه يرفض .

فقال ستيفن :

ـ لقد سمعت اننا كنا نستطيع ان ننجز هذا المشروع في وقت أسرع بدون رجال الجيش أو رجال الصناعة .

فقال بيرتون هول :

ـ اننا لا نستطيع أن نغير ذلك الآن .

وعاد الرجلان الى المكتب وجلسا واغلق ستيفن الباب وسأل بيرتون هول :

ـ الى اين ستذهب عندما تخرج من هنا ؟ .

فاجابه بيرتون هول بقوله :

ـ سوف اعود الى شيكاغو فلدى مهمة يجب ان انجزها مع مهندس شركة كانادى فاريل انهم رجال أكفاء ولكنهم ليسوا علماء ويجب ان نعلمهم هل تدرك ماذا نفعل ؟ لقد فتحنا أبواب الكون ونحن ندفع الناس الى عالم جديد يرهبهم وسوف يباركوننا او يلعنوننا أن هذه الطاقة الذرية أقوى من الطاقة الكهربائية بملايين المرات ماذا كان يمكن ان يقول ابى ؟ كان سيقول اننا فتحنا أبواب السعير وقد نكون فعلنا ذلك بالفعل .

فقال ستيفن :

ـ ارجوك لا تتكلم ، لا يمكن ان نكون بهذه الطريقة .

وفى المساء رقد على سريره بلا نوم وفجأة تذكر أنه لم ير جين فهى لم تأت معه ولكن ترى أين هى وماذا تفعل •

وفى اليوم التالى طلب ستيفن كوست بيرتون هول ليطلب منه ان ينقله من المشروع ووافق بيرتون هول وابلغ ستيفن زوجتـــه بأنهم سيغادرون هذه المدينة فى اليوم التالى •

قال ستيفن لجين :

ـ هذا ما حدث لقد مضى اسبوع ولم يجدا فرصة للكلام الا فى هذا اليوم •

والآن وفى وقت متأخر بعد الظهر سارا فى الطريق المؤدى الى سلسلة الجبال وصعدا الدرجات الصخرية ونظـرا الى جين التى كانت تتبعه وقال :

ـ شىء جميل ان يكون مع الانسان شخص يتحدث اليه ويعرف ما أتحدث به •

فقـالت جين :

ـ انبى لسعيدة اذ رأيتك يا ستيفن •

فقال لها :

ـ لقد كنت مع بيرتون •

فقـالت :

ـ بيرتون هول ليس انتة •

وجلس كل منهما بجانب الآخر وتلامست أيديهـــما فثارت اللهيب واحس برعشة الدماء فى عروقه ، كان يريد أن يتحـدث ولكن لم يكن يجرؤ فهو فى حالة مفزعة ولا يجب أن يخلط هـذه العاطفة بالحب فهو يحب زوجته وبصعوبة استطاع أن يسيطر على نفسه فى الطريق وهو عائد الى بيته فى العربة مع جين بل بكثـير من الصعوبة لأنه لمح فيها نفس الرغبة تجاهه وهذا دون أن يكون هناك حب بينهما ثم استدار اليها وقال :

ـ جين اريدك أن تعرفي انني لم أكن أعرف انك هنا عنـــدما طلبت من بيرت أن ينقلني الى هذا المكان .

فسألته :

ـ الم تكن تأتي لو عرفت ذلك ؟!

فاجابها بتردد :

ـ « لا اعرف » .. نعم كنت سآتي لانني اريد أن أعمـــل في هذا السلاح انني اشعر بانني مضطر لان اعمل فيه .

وتردد مرة أخرى حتى اضطرت هي أن تتكلم فقالت :

ـ واصل حديثك لا يجب أن تخاف مني وانا لن أخاف منـك اننا علماء أولا .

وبعد أن قالت ذلك مضت في طريقها أسفل الجبل .

وفي ذلك المساء وعلى مائدة الطعام وفي منزل يشبه المنـزل الذي كان في تينيسي توقف ستيفن عن الطعام وقال لزوجته :

ـ اريدك أن تعرفي انني لا أنوى أن أرى جين وحدها عندما اكون هنا .

فصاحت فيه :

ـ لم تخاف أن تراها وحدك لا بد انك تحبها ؟!

فقال والم صادق ينبثق من عينيه السوداوين :

ـ انني لا احبها ولا أريد أن احبها ولا اريد أن أحب احداسواك

فقامت ووضعت ذراعيها حول عنقه ومسحت بخـدها حول شعره وهمست :

ـ انك تقطع نياط قلبي يا ستيف .

وجاء ربيـــع عام ١٩٤٥ واجتمع الجنرال وبيرتون هـول و « ستارلي » ليتدارسوا الأمر وليعجلوا بالعمل والهمك ستيفن في عمله حتى يخرج هذا السلاح الى الوجود وكانت زوجته في هذه الاثناء وبسبب انشغاله عنها تخرج كثيرا الى النـزهة مع زوجات

العلماء الآخرين فالعلماء مشغولون في عملهم الرهيب وفي يوم من الأيام جاءته مكتملة الزينة وكان عاكفا على معادلاته فلم يأبه بهما وسألته :

– هل تحبني هكذا ؟.

ولم يرفع بصره عن الورق الذي أمامه وقال :

– كيف حالك الآن ؟.

فقـــالت :

– هل تعتقد أن سؤالك هذا هو الرد الا ترى ان تغـــيرا طرأ علي ؟.

فأخذ يتفحصها وقال :

– هناك تغير واعتقد أن كلانا قد تغير . فكلانا مشـــغول ، أنا بالمشروع الذي أعمل فيه وأنت بما تفعلينه لهذه العائلات ، وأني لأعجب بك كثيرا فأنا أعرف أن الهدوء والطمأنينة التي يعمل فيها رجالي بسببك أنت .

– ولكن ماذا عن الحب بيني وبينك ؟.

– ان كل ما أفعله من أجلك واذا لم يكن هذا حبا .

ونظر الى عينيها المستعطفتين انها أجمل من أي وقت مضى ثم قال لها بصوت عال :

– لسوف أكون مسرورا جدا عندما ينتهي هذا كله فحينئـــذ سوف أبني لك المنزل .

فسألته :

– ومتى سينتهي ؟.

فأجابها بقوله :

– بعد شهور قليلة .

ثم عاد الى مكتبه لقد كان على حق عنـــدما قال ان الأمر لن يستمر طويلا فقد بدأت المواد تأتي من تينيسي ومن المنطقة الشمالية الغربية وسوف يكون هناك ما يكفي قريبا جدا من أجل أول تجربة

بحقيقية ثم اخـــذ يفحص الأوراق التى امامه للمشروعات والخطط والطرق المحتملة لصنع القنبلة ثم انغمس فى تفكير عميق وامسك بالقلم واخذ يكتب مذكرة الى رئيسه جاء فيها :

ـ اننى ارى ان المسألة لم تعد تتعلق بما اذا كان هذا السلاح سيعمل ام لا ولكنها تتعلق بمدى فاعليته وان تهناتى لتؤكد لى انه فى خلال اربعة شهور سنكون قد انتهينا من اسوأ سلاح وافتـك سلاح اوجده الانسان فهذا السلاح يمكن ان يدمر مدينة باكملهـــا وآمل الا يحدث ذلك ولكن الرئيس يجب ان يعرف كل شيء ولديه فسحة من الوقت لكي يفكر فيه .

وفى صبيحة اليوم التالى فاجأته جين وهو يفحص مع احـد مهندسى الكهرباء الضوء المسلط خطا على المفاعل واستدار اليهـا وكانت تقف على عتبة الباب بمعطفها المممـــلى ويداها فى جيبى المعطف وقالت :

ـ هل يمكن ان اراك على الفور .

فأصدر الى المهندس الكهربائى بعض التعليمات ولحق بهـــا وسارا معا فى الممر عندما قالت جين :

ـ لقد اكتشفت احتمالا رهيبا اريدك ان تفحص معى الأرقام التى وصلت اليها .

ـ انك صاحبة نظريات يا جين .

ـ قد اكون مخطئة .

وعندما دخل المعمل قدمت له ورقة وبعد ان درس الأرقام لمدة خمس دقائق صرخ فى فزع :

ـ ما هذا يا جين ؟.

ـ ماذا سنفعل ؟.

ـ اننا لا نستطيع ان نقرر أمرا فى هذا الاحتمال الرهيب .

ـ اذا كان هذا الاحتمال صحيحا فقد نتوقف جميعا .

ـ نعم ولكن من الذى سيقرر ذلك ؟.

ـ يجب ان نبلغ بيرتون هول .

ـ اتعرفين اين هو ؟.

ـ اعتقد انه مازال في فيرمونت .

وانتظر بينما كانت تطلب جميع الاماكن التى يحتمل أن يكون فيها بيرتون هول واخيرا رن جرس التليفون فى منزل بيرتون هول حيث ردت زوجته ثم راحت توقظه من النوم وسحب نفسه فى تثاقل حتى وصل الى التليفون الذى كان في المطبخ حيث كانت تمل زوجته وسمع جين تقول :

ـ ان هناك شيئا خطيرا اعتقد انا وستيف انك يجب ان تعرفه .

ـ الآن ؟.

ـ نعم فسوف نستقل قطار المساء .

ـ سوف اقابلكما فى المحطة .. ان هناك قطارا واحدا فى اليوم هنا .

وضعت جين السماعة ثم نظرت الى ساعتها وقالت :

ـ امامنا اربعون دقيقة .

قال بيرتون هول :

ـ انى لا استطيع أن اتحمل المسئولية وحدى دعينى اطلع على هذه الارقام بنفسى .

فاخرجت المذكرة من حقيبتها وسلمتها الى بيرتون هول وهى تقول :

ـ انه مجرد احتمال بسيط كان يمكن أن اتحدث عنه ولكننى مضطرة الى ذلك فالحرارة الشديدة نتيجة الانفجار يمكن ان تحرق الهيدروجين فى المحيطات او فى الجو حتى أن الأرض يمكن ان تتبخر .

وتصبب وجهه عرقا واخرج منديلا من جيبه واخذ يمسح به العرق وفى ذلك الوقت كانت الطيور تغنى فى الغابة نغمات

بخلوة صافية وكان الصبية يصطادون على ضفاف البحيرة وكان اليوم مشرقا وجميلا ، ان الدمار شيء مستحيل لا يمكن أن يصدقه وانتفضت جين تقول :

ــ هكذا كان يجب على ان ابلغك .

فقال بيرتون هول :

ــ وانا لا استطيع ان احمل المسئولية ويجب أن نقرر معا ماذا يجب أن نفعله .

فقال ستيفن :

ــ ما رأيكم فى أن نبلغ الجنرال ؟

ولم يوافق بيرتون هول وقال :

ــ العلماء يا ستيف .

واصر ستيفن على كلامه وقال :

ــ ولكن كيف .. ما هى الفرصة التى أمامنا . ان عليكم أن تحددوا الحد الذى لا نمضى بعده .

ولم يجب بيرتون هول .. ثم قال بعد فترة صمت :

ــ اذا كانت هناك ثلاثة اعشار الفرصة فى المليون ، فسوف أبلغ العالم بذلك ، واوقف العمل كله . أما الآن فيجب أن نمضى فى فى المهمة والآن ساوصلكما الى المحطة .

وبعد ثلاثة شهور ، وبينما العمل مستمر ، سلم مائة من العلماء تقريرهم . ان هناك اقل من ثلاثة اعشار فرصة فى المليون بأن الأرض يمكن أن تتبخر . وقرأ بيرتون هول التقرير وطلب ستيفن وجين .. وعندما حضرا قال لهما :

ــ انظرا الى هذا التقرير .. ماذا نستطيع ان نفعل سوى ان نمضى فى العمل .

فقال ستيفن :

ــ لا شيء .

ونظر بيرتون هول الى جين وقال :

ـ هل توافقين ؟.

فهزت كتفيها :

ـ ان القاعدة خطأ . وان كل شيء خطأ منذ البداية . انه لم يكن يجب أن نفعل هذا لنفس السبب الذى نفعله من أجله ..

وزمجر بيرتون هول :

ـ لا نستطيع أن نتوقف الآن ..

ونظرت الى كل من الرجلين وقالت :

ـ لم لا نستطيع أن نتوقف ؟ كيف جئتم بنا الى هذا المكان الرهيب ؟.

وبدأت تبكى وتقول :

ـ ان كلاكما طيب وخير ، فكيف حدث هذا ؟.

وخرجت تجرى من الحجرة . ولم يتبعاها . وطوى بيرتون هول التقرير ووضعه فى درج المكتب وأغلق عليه ، وقال :

ـ سوف نعود الى العمل يا ستيف .

وبعد شهر واحد وقعت الحادثة . كان من بين الذين يعملون مع ستيفن كوست وكلهم من العلماء الشبان الذين لا يزيد سنهم عن الثلاثين واحد يدعى « ديك فيلدمان » ذو استعداد تكنيكى رائع وصاحب نظريات جريئة ولكنه مهمل فى التجارب . ومن بين الأفكار الرائعة التى يخرج بها نجد تسعة وتسعين لا فائدة منها أما الفكرة الأخيرة فانها تكون صائبة لا يمكن الاستغناء عنها . والآن استطاع ان يقوم بتجربة بسيطة وهامة فى قياس التفاعل المتسلسل . وقد حذرت جين ستيفن ما يفعله « فيلدمان » . لقد سألته فى يوم من الأيام وهما يسيران فى الممر :

ـ اعتقد انك تعرف ما يفعله فيلدمان ؟.

ـ نعم اعرف .

ـ اذا لم تمنعه عن الطريقة التي يصنعها بها فسوف يقتل نفسه وأي شخص آخر يتصادف أن يكون بالقرب منه .
فوعدها ستيفن بأن يتحدث معه في هذا الموضوع .

ومضى كل منهما في اتجاه مغاير للآخر ، وماطل في تنفيذ وعده ، وكان ينوي كل يوم أن يرسل في طلبه ويذكره بأن العالم ليس له الحق في أن يجازف بحياته ويعرض حياة الآخرين للخطر بسبب الاهمال في الطريقة . وبعد ذلك نسي وعده . ولكن حدث بعد فترة ، وبينما كان ستيفن يجلس في اجتماع مع بعض العلماء ينتظر بيرتون هول ، أن رن جرس التليفون على مكتبه . وامسك بالسماعة وهو ما يزال يقول موجها حديثه لهم :

ـ يجب أن نستعد لاجراء أول تجربة في خلال الأيام العشرة التالية .

وتوقف فجأة . كانت جين على الطرف الآخر . وكان قد افتقدها منذ اليوم الذي قضياه عند البحيرة ، وكان يتوقعها أن تأتي ، ولكن لم يكن يسأل عنها عندما لا تأتي .

ـ ستيفن ؟.
ـ نعم .. ماذا تريدين ؟.
ـ لقد وقعت حادثة .. ورهيبة .. ديك فيلدمان .
ـ ماذا جرى له ؟.

ـ لقد انزلقت يده وهو يوضح لأحد العلماء الشباب كيف يعمل في تجربته . فقد تماست مقذوفات اليورانيوم وحدث ماس رهيب .

ـ يا للسماء ...!

ـ وشتت ديك المادة بيديه حتى ينقذ الرجلين الآخرين . وقد أصيب اصابة خطيرة . وقد أصيب آخر . أما الثالث فقد جرى هاربا . وديك الآن في المستشفى . وسوف أبقى معه . وأريدك

ان تعـــرف السبب فى انني لا اقابلك ، واين انا من الآن حتى النهـــاية .

ـ القصدين ...

ـ ليست هناك فرصة أمام ديك .. فليس له عائلة »

ووضعت السماعة .. أما هو فتحول الى الرجال الذين معه وقال :

ـ لقد وقعت حادثة ضحيتها فيلدمان . واني مضطر للذهاب الى المستشفى . انها التجربة اللعينة التى يقوم بها . لقد وضع حاجزا بين شقى النيوترون ولكن هذا الحاجز انزلق .

وتركهم ستيفن ، وكل منهم يتفوه بعبارة املاها الموقف بعد هذه الحادثة ، واسرع الى المستشفى ، كان الجو هناك كثيفـــا وصامتا .. وارشده رجل الاستقبال الى الحجرة فهرع اليها وفتح الباب كانت جين هناك بجانب السرير الذى يرقد عليـــه « ديك فيلدمان » وكان مبتهجا ولكنه شاحب .

ـ تعال يا ستيف ...

ولم تتكلم جين .. كانت تفحص تقـريرا من المعمل ، ورفعت بصرها عندما دخل ســـتيفن ، وأومأت دون أن تبتسم . وقال ستيفن :

ـ ماذا يفعلون لك هنا ؟.

وجذب كرسيا صغيرا واقترب من السرير . فقال فيلدمان :

ـ كل شىء ان يدى تؤلمانني . وهذا السبب فى انهم يلفونهما بالثلج .. لقد امســـكت المـــادة .. وكان يجب أن امســـكها .. كنت فى عجلة . كان لدى موعد مع فتاتى .. كنا ســـنقوم بنزهة فى احدى القرى الهندية . فهى لم ترها . ان اجازتى تبدأ غدا و كنت أوضح للزملاء ...

وتوقف .. ليتنفس بصعوبة . وقالت جين :

ـ هل يزداد الألم سوءا ..

فقال :
ـ فى يدى .
وتطلع اليها وانفجر العرق من جبهته وهمس :
ـ اشعر بالالم .. اشعر بالالم الشديد .
وبحثت عن وعاء ، ورفع نفسه فوق السرير ، ثم تقيأ فيه ..
وحملقت جين فى ستيفن وقالت :
ـ ناد الممرضة .. ويجب ان اتحدث معك يا ستيف .. اننا نستطيع ان نعالج اشعة « جاما » ولكن أشعة النيوترون ...
ولم تكمل فقد عاود فيلدمان القىء وأسرع ينادى الممرضة .
وفى اليوم التالى خرجت جين مع ستيفن من حجرته وسارا معا فى الممر . وقالت جين :
ـ انه اهدأ الآن .
فسألها ستيفن :
ـ هل قال الطبيب شيئا ؟
ـ ما يزالون يجرون الاختبارات .. ويأخذون عينات من الدم بالطبع كما يحقنونه بالبنسلين .. كذلك هناك عملية نقل دم .
ـ دم من ؟
ـ دمى .. ولكن هذا لا يهم : كنت بالقرب منه ، ولدى الدم المناسب .
فقال ستيفن فى صرامة :
ـ لا تقدمى اكثر من ذلك .. انك تزدادين نحافة . لقد لاحظت ذلك .
ـ ولكننى لم الاحظ ذلك .. وسوف أقدم المزيد ، اذا كان ذلك ضروريا . انه نمط غير عادى . ليس من السهل جدا أن تجده .. ولكن قد لا يكون هناك وقت .
ـ تعنين .
ـ انها مسألة ايام قليلة .. هذا هو كل ما فى الامر .. ثم ان

واجهة جسمه تحترق . فالألم الذى فى ذراعيه يزحف على بقيــة جسمه ..

ـ ولكن ماذا حدث للآخرين ؟.

ـ ان الذى هزب لم يصب بشىء .. أما الآخر فسوف يفقــد شعره .. فى جانب من رأسه على أية حال ، ولا يجب أن يحلق المدة شهور قليلة ، ولكن الطب سوف ينقذه . وقد يصبح عقيما .. أنا لا أعرف .

ـ هل لديه أطفال ؟.

ـ اثنان .. وهذا من حظه وحظ زوجته . ويجب أن أتذكر وأسأل عن أسنانه .

ـ أسنانه ؟.

ـ نعم ... فقد تكون الثغرات بينها مليئة بالاشعاعات ، التى يمكن أن تحرق اللثة .

ـ وماذا يمكن أن يفعله حينئذ ؟.

ـ يخلع أسنانه ..

ـ كيف عرفت هذا كله ؟.

ـ لقد كنت أدرس أثر الاشعاعات على الفيران ... التى فى رعب . والآن هل تعرف ماذا سيحدث لهذا المصاب فيلدمان ؟.

فسألها ستيفن بصوت منخفض :

ـ أليس هناك أمل بالنسبة له ؟.

ـ أى أمل ؟ لسوف يتحلل .. وسوف يصاب بالفرغرينا .. كذلك سوف تمتصه الاشعاعات التى فى جسده . وسوف ترتفع درجة حرارته ، وسوف تقل كرات الدم البيضاء .. وأخيرا سوف يخرج عن صوابه ويفقد عقله .

فتمتم ستيفن قائلا :

ـ انك تعرفين كل شىء .

فقالت :

ـ لن اتركه .. سوف أبقى معه حتى النهاية . فليس هناك آخر يفعل ذلك .

وتصافحا ، ووضع يده على يدها وقال :

ـ كنت اتمنى ان ابقى معك يا جين . ولكننى لا أستطيع لقد استعد الجميع للتجربة الكبيرة . انها ساعة الصفر .. وانى مضطر لان اذهب .

فقالت له :

ـ اعرف ذلك .

ثم تقابلت عيونهما ... وافترقا .

وفى الأيام التالية لم تكن تغادر حجرة المريض الا لتأكل فى سرعة أو تنام قليلا حتى تستطيع أن تظل مستيقظة .. وعاشت ساعة بساعة مع الرجل الذى يموت . وكان الاطباء والممرضات يعتنون بالجسد المتحلل ، وكان العلماء والمسئولون يروحون ويجيئون ، ولكنها بعقله وروحه عاشت وواجهت الموت . وكثيرا ما تحدث اليها .. عن النيران التى تشتعل فى أحشائه وفى معدته برغم الثلج الذى يلفه . وكان يسألها « حدثينى عن بيتك » ، « حدثينى عن والدتك » .. وكانت تحدثه .. وكانت كلما اثارت شيئا بكلامه ينساق فى حديث قصير عن نفسه .. وسألته جين :

ـ اين ترعرعت ؟

وقال لها :

ـ فى ملجأ للأيتام .. ولم تكن الحالة سيئة كان هناك الكثير الذى نأكله .

ـ ولكن كيف أصبحت عالما ؟

ـ كان هناك رجل غنى فى الكنيسة . وسمع عنى .. ودفع عنى « الدوطة » لتعليمى . ولكنه لم يحدثنى أبدا . فقط قدم النقود الخاصة بتعليمى . وبدلا من الذهاب الى الجيش بعثوا بى

من الكلية الى هنا . كنا اثنين .. ولكن الزميـــل الآخر ذهب الى مكان آخر . انك اول فتاة اراها تعمل بالعلم . هل تعتقدين انهم سوف يستخدمون القنبلة ؟.

ـ لا .. انني على يقـــين انهم لن يســـتخدموها .. انني لا استطيع ان اتحمل ذلك .

ـ اعتقد انهم سيفعلون اذا ارادوا ذلك .. ان صدري يؤلمني بشكل فظيع .

وظلت بجانبه ليلا ونهارا حتى النهاية ، عندما تشتت عقله في كل مكان . وفي اليوم السادس مات .. قبل الفجـر ، وكان الألم الغامض الذي شعرت به يكاد يقترب من الحب .

واقتربت ساعة الصفر .. وذهب ستيفن يقود موكبــا من العلماء وكبار الجيش الى مكان التجربة . وامســك احد رجال الجيش الميكرفون واخذ يتكلم عن التجربة وعن قوة التفجير وعن اقتراب ساعة الصفر ثم تطلع الى بيرتون هول وساله :

ـ هل هنــاك شيء آخر ؟ . ان الجنــرال و « بوب » رئيس المشروع في المركز الجنوبي مع المساعدين .

وتردد بيرتون هول .. ثم امسك بالميكروفون وقال :

ـ ان هناك صوتا واحدا افتقده الليلة . وهو صــوت رجل لم اره أبدا الا على شاشة التليفزيون . وأحب أن أقول انني لم انتخبه لاجعل منه رئيسا . لقد كنت دائما انتخب الرجل الخطا . وانتم تعرفون من أعني . لقد مات في ابريل الماضي . ولكنني اشعر انه هنا يطل علينا من مكان ما . لقد كانت لديه الشجاعة ليعطينا امرا بالمضي في العمل . وكذلك الجراة على انفاق المـال . بليونان من الدولارات . وسوف تكون أكثر النفقات حكمة واقتصادية صرفت في تاريخ الجنس البشري . وقد تكون أكثر الخسارات خيـــالا وغرابة . وانني اتكهن بالنجاح .

وبعد قليل قال ستيفن :

ـ اننا على استعداد فى الوقت المحدد .

وانتهت العاصفة التى كانت قد هبت منذ قليل . ووقف بجوار « الانتاج » الذى يحمل المستقبل داخل شكلها المعدنى . ولم يعد يخاف ، أو يشعر باليأس فالظلمة تحيطه فى الداخل والخارج ، وفى هذه الظلمة رأى فقط وجه جين . انه لو عاش بعد هذا التفجير فسوف يعود اليها . وسيقول لها انه يحبها . سوف يواجه حقيقة نفسه معها .

وفى الصمت الرهيب أمسك ستيفن بالميكروفون . كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق . وخلف الميكروفون وقف جامدا حتى كاد يشعر أنه ميت . ولكنه تكلم ، أعلن الوقت كل خمس دقائق ثم كل دقيقة وعيناه على ساعته . وبدات الدقيقة الأخيرة .. وبدأ يعد بالثوانى حتى وصل الى الصفر .. واستدار بظهره فى هذه اللحظة ليرى الجو ينفجر فى ضوء يعشى الأبصار . وفجاة دوى انفجار هز الأرض وشعر بأن اذنيه تصدمتا . كما لو أن يدا كبيرة ضربته ، وسقط على الأرض . وظل فاقد الوعى لحظة ثم قاوم حتى نهض وعبر الحجرة كان بيرتون هول يرتعد . وفى صمت تام حملقوا جميعا فى هذا الشكل الرهيب المتحرك الذى اطلقوا سراحه . ثم تكلم بيرتون هول :

ـ لقد ذهب البرج ..

ثم نظر عبر التليسكوب ..

ـ انه لم يعد له وجود .

واختطف ستيفن التليسكوب وبحث فى الصحراء على بعد عشرة اميال . وصاح بيرتون :

ـ لقد فعلناها .. لقد فعلناها ..

والقى بذراعه حول كتفى ستيفن وبدأ يبكى ويضحك ، ويقول :

ـ سماء جديدة ، وأرض جديدة .

فقال ستيفن :

ـ عصر جديد ..

ـ ٤ ـ

وكانت نتيجة هذا الانفجار الرهيب أن برد الهـواء وانتهت الأسابيع التى لا تطاق من الحرارة الشديدة وهبت رياح رطبـة وتسللت الى النوافذ المفتوحة واستيقظت جين فى سريرها وأخذت تتذكر ذلك اليوم . فقد ذهبت الى سريرها فى وقت متأخر ليلة أمس وهى لا تستطيع أن تنام ، كانت ليلة الصـفر وكان يجب أن تكون هناك مع ستيفن وبيرتون هول وبقيـة الرجال وقال بيرتون هول :

ـ فرصة كبيرة ضاعت منها ..

وأضاف :

ـ لست عالمة اذا ضاعت منك هذه اللحظه .

قال لها ذلك أول أمس عندما كانا يقومان بقياس الحـرارة المرتفعة للمفاعل الجديد ، وفكرت لحظة قبل أن تقول :

ـ لا استطيع أن اذهب ففى هذا اليوم ستشيع جنازة فيلدمان وليس هناك سواى ، كذلك لست على يقين من انني أريد ان ارى هذا العمل الكبير ..

فقال لها :

ـ دعى الموتى يدفنون الموتى ، انك عالمة أولا وأخيرا ، وقـد كنت تقولين ذلك لى عندما كنت أحاول أن أكون رقيقا معك .

ولم تجب جين فمن ذا الذى يعرف من هى ؟ انها لا تعـرف نفسها فهى فى حالة اضطراب شديد ولم تكن تتصور منذ سنوات أن فرحتها بالرياضيات سوف تؤدى بها الى هذا المـكان الذى

تحيط به جبال انبثقت عن بركان قديم ومن الغريب أن نقارن كارثة هذا الانفجار القديم بما يفعله الانسان فى العصر الحديث .

وجلست فى سريرها وهى تشعر بالقلق ، يجب أن تكون هناك هذه اللحظة ، فسوف يعرفون الآن ما اذا كانوا قد نجحوا فى التجربة . وهذا سر بالطبع ولكن الاسرار لا تخفى عليها وربما تكون العاصفة قد أجلت التجربة أو ربما تكون قد فشلت . وعلى الفور نهضت من سريرها واغتسلت ومشطت شعرها ولفت نفسها كما هى عادتها عندما تكون وحدها - برداء هندى ، فقد كانت ترتديه وهى طفلة ، ومازالت هذه عادة عندها حتى انها عندما ترتديه يخف التوتر فى نفسها .

كان الصباح رائعا بعد العاصفة ووجدت نفسها تغنى وسعيدة بالرغم من نفسها ، فهل هناك دائما مستويان للحياة بالنسبة للمرأة ؟ على اية حال هناك هذا المستوى الطيب الذى تعيش فيه ، سوف تتناول فطورها فى الشرفة ووضعت الغلاية على النار وبدأت تعصر بعض ثمار البرتقال وحينئذ سمعت صوت ستيفن على الباب ، وقفت وهى لا تصدق نفسها فكيف يجىء ستيفن فى هذه الساعة من اليوم وسمعته يناديها واسرعت ففتحت الباب ، وكان ستيفن يقف والتعب يبدو على وجهه وسألها :

- لم انت هنا . لماذا تركت المعمل ؟

فقالت فى غضب :

- كيف يمكنك ان تفكر انني استطيع أن اترك هذا العمل .

- ولكنك تركته . لقد كنت هناك ولم أجدك .

- لقد تركت بيت النساء فقط اذا كان هذا ما تعنيه ولن أذهب الى هناك بعد ذلك وبعد جنازة فيلدمان سوف أكون وحدى وقد استاجرت هذا المنزل منذ يومين .

فتمتم وهو يقول :

- يا الهى ، انك فى بيت جديد كما لو أن كل شيء قد رتبته الأقدار .

ثم جلس على كرسى المطبخ واخذ يحملق فيها وسألته :

- ماذا تعنى وما هو هذا الشيء الذى رتبته الأقدار ؟.

- هذا الذى جئت احدثك عنه .

- هل تناولت فطورك ؟.

- لم أتناول طعاما منذ يومين الا تعرفين ما حدث ؟.

- لا .. فقد بعثت برسالة الى المعمل بانى لن احضر لمدة ثلاثة ايام .

- الا تريدين ان تعرفى ؟.

- اريد ان اعرف شيئا واحدا فقط هل نجحت التجربة ؟.

- نجاحا هائلا .

- لا ترد الآن ، اذهب واغتسل وسوف اصنع لك الفطور .

ونهض وهى تراقبه وهو يجر نفسه جرا فقد حدث شيء له ، شيء أكثر من النجاح كانت تتمنى لو فشلت التجربة فقد كان يمكن أن يكون امامهما فسحة من الوقت . لماذا ؟. لا تدرى . وبعد أن أعدت الطعام جاء ستيفن وهو يبدو نظيفا وقالت :

- اجلس لقد جهزت ولا تتحدث .

وتنهد ثم جلس وصبت له كوبا من عصير البرتقـال وجلست قبالته وسألها :

- ما هذا الذى ترتدينه ؟-

فأجابت وهى تضحك :

- انه سارى هندى وانا ارتديه عندما اكون فى المنزل .

فقال لها :

- انى احب هذا السارى عليك فهو يبدو مريحا .

فوافقت على كلامه ثم ساد الصمت بينهما للحظات بينمـا كان يأكل فى نهم وصبت القهوة ثم تنهد أخيرا واركن الى الوراء وقال:

ـ انني احتقر نفسي .

ـ انني سعيدة جداً .

وازاح الأطباق والفنجان جانبا وقال :

ـ والآن إتكلم ..

فوضعت يديها على أذنيها وقالت :

ـ ارجوك لا تتكلم سوف أسمع هذا كله هناك فسوف تكتب تقريرا وسوف تنشر الصحف ذلك وتقول « تجربة ناجحـــة في صحراء نيفادا » وقد تغير العالم .

ـ ان هذا الحديث لك .. والحق أن العالم قد تغير بالنسبة لى على اية حال .

وانزلت يديها .. وتقابلت عيونهما . وبحث ستيفن عن غليونه واشعله وقال :

ـ لا تقاطعيني يا جين . وبعد ان أقول ما لدى .. يمكنك ان تقولي ما تشائين . وارجوك ان تفهمي ان هذا ليس شيئا مباغتا . لقد وصلت الى ذلك في لحظة .. ولكنني أعددت لذلك كثيرا .

وشعرت بالرهبة . ولم ينظر اليها . بل انه تحول ببصره عنها وحملق في البركة المستديرة ، التي تلمع فيها اشعة الشمس التي بدات تزحف على السطح المنخفض للمنزل . وبعد برهة قال لها :

ـ ان كل شيء كنت اكبته في نفسي ، وأنكره عليها وارفضـــه طيلة هذه الشهور بل هذه السنين ، منذ ان رايتك لأول مرة ، قد تفجر الآن . انا لا استطيع أن أوضح . ربما كان توتر العمـــل من بين الأسباب . فانا لا اعرف .. ولكن انا هنا الآن . وقد زال التوتر واعرف ما اريد . رفقة كاملة . انني اريدك انت .

وارتكنت براسها على يديها ، ومرفقاها على المـــائدة ، ولم تستطيع ان تجيب . وساد صمت عميق . قطعته اخيرا وقالت وهي لا تنطلع اليه :

ـ اننا لسنا أطفالا .

فوافق على قولها واستمرت تقول :

ـ وليس لى روابط .. ولكنك ...

ـ الا ترتبطين بدكتور بيرتون هول ؟ .

ـ ليس بالطريقة التى تقصدها ..

ـ ان لدى شعورا بأنك تحبينه .. وربما يكون ما حدث لى قد حدث له .

ـ لا داعى للحديث عنه .

ـ كما تحبين ..

ـ اما انت فمرتبط .. وانا احب هيلين .. وهى تحبك . وانا لا انافس .. ولا يجب أن انافس فانا عالمة . ولست مجرد امرأة . ان لى شيئا خاصا بى .. اما هى فليس لها أى شىء .

وقام .. واخذ يذرع الشرفة جيئة وذهابا .. ثم وقف بجانبها وقال :

ـ لم تفكرين فيها فقط ؟ ولم لا تفكرين فى ؟

ـ ان لك شيئا خاصا بك . فانت عالم .

ـ لا تتفلسفى بربك .. فى هذه اللحظـــة . جين قبلينى .. قبلينى .

وجذبها اليه فصرخت :

ـ ستيف .

ولكنه لم يكن ليقاوم . لقد مضت فترة طويلة منذ أن رغبت فى أن تقبل رجلا . كانت ذراعاه حولها ، وكان فمها على فمــه ، فى رقة فى بادىء الامر ، وبعد ذلك بدفء ، ثم بقوة مباغتة وعاطفة . وارتعشت وهى تستجيب له .. فمن المستحيل الا تستجيب ، انها تريد أن تستجيب .. وان تستطيع ..

وانسحب أخيرا وجذب راسها الى صدره وقربها منه ، وخده على شعرها .

ــ الآن .. هل فهمت ؟.

فقالت :

ــ فهمت ! نعم .

ــ اذن انتهى الأمر .. سوف ابلغ هيلين .

وابتعدت عنه وهى تقول :

ــ لا .. لا تقل .

ــ ولكن يجب أن أقول لها ، فكيف أعيش فى البيت ولا أقول لها .. اننى لا أستطيع ان اتظاهر .

ــ لا تقل لها شيئا .. ان هذا شىء سريع جدا .

وحاولت أن تبتسم ، ولكن الدموع علقت برموشها وقالت :

ــ امهلنى بعض الوقت ...

ونظر اليها لبرهة :

ــ سوف أمهلك .. ولكن لن اتغير أبدا ..

واختطف الجاكتة من فوق الكرسى ومضى الى خارج المنزل .

ووقفت تنظر الى الحديقة وهى تتأوه وتقول :

ــ ماذا سافعل .. ماذا سافعل الآن ؟.

ثم جرت الى حجرة النوم ، وهى تفك السارى بينما تمضى . وارتدت ملابسها .. الى العمل .. الى العمل المبارك حيث تفكر فقط فى القوة الكونية ، وليس فى هذا الوميض الذى يتأجج فى قلبها .

بينما كان بيرتون عائدا الى العمل شعر بندم غريب غير متوقع . فبعد النجاح الكبير للتجربة ودع زملاءه العلماء ، وكان قد هنأ الجنرال ورفاقه .. وقال :

ــ اراكم فى المعامل .. ان المهمة التالية تلح علينا .

وكان كل واحد يعرف ما هى المهمة التالية . لقد استسلمت المانيا فجاة فى شهر مايو ، وباسرع مما كان متوقعا . وقبل ذلك

بشهر مات الرئيس . وكان بيرتون هول فى ذلك الوقت فى القطار فى طريق عودته من واشنطن ، عندما انتشرت الأنباء فى البلاد من مدينة صغيرة فى جورجيا تقول ان رئيس الجمهورية الأمريكية قد مات . واخذ يتذكر ما كان يقوله للعلماء من أن واجبهم أن يواصلوا اكتشافاتهم وأن يحولوا مجرى الحضارة ، وكذلك فعل وزير الحرب الذى ناشد بيرتون هول أن يمضى قدما هو وعلماؤه فى هذا العمل . وقد وعدهم بيرتون هول بذلك . وهذا الوعد هو الذى يسدد الى صدره مثل الخنجر . وقد حدد الجنرال استراتيجية استخدام القنبلة . وفى هذه اللحظة ، ولأسباب لم يستطع أن يتبينها ، شق طريقه عبر الصحراء والسهول وذهب الى «أريزونا» والى معسكر معين بالذات حيث كان يسجن « ياسوا ماتسوجى » وراء الاسلاك الشائكة لانه من الأعداء . لقد عاش عشرين عاما فى البلد الذى اختاره يرسم صوره الغامضة الجميلة .. وتسللت هذه الأفكار جميعا الى ذهنه المتشعب المضطرب وهو يقود سيارته عبر الصحراء ويتوقف متعبا على بوابات معسكر اريزونا للاعداء الأجانب .

واستطاع بيرتون هول بعد حصوله على اذن أن يدخل المعسكر وانتظر حتى جاء « ياسوا » كان يمد كلتا يديه وقال :

ـ دكتور هول اجئت لترانى هنا ؟.

ـ انني افكر فيك كثيرا ، كيف حالك ؟.

ـ تعال ادخل .

ودخل بيرتون هول ولم تكن هناك اية صور ولكن كان هناك فوق رف صغير مجموعة من الأشكال المنحوتة لم يستطع ان يتبينها بيرتون فى اول الأمر فسأل ياسوا قائلا :

ـ ما هذه الأشياء ؟.

فضحك وقال :



ـ هذه اعمالى فالايام طويلة هنا ولااستطيع أن انام كثيرا لذلك فانى اقوم بعض الاعمال .

فقال بيرتون هول وهو يشعر بشيء من الخجل :

ـ ولكنهارجميلة .

فقال ياسوا مبتهجا :

ـ لست أنا الذى اعمل فهناك كثيرون يعملون بعض الاشياء فمن القبح ان نعيش هنا دون ان نفعل شيئا . فالبعض ينبت بذور الورود والبعض الآخر ينبت بذور الخضروات ، كلنا نعمل شيئا فيما عدا الكسالى وهم قليلون ، إجلس ، انتى آسف ليس عندى شاى .

وجلس بيرتون هول وقبالته هذا الرجل الرقيق الذى عرفه سنين طويلة . ونظر اليه « ياسوا » دون ما حرج . ولم يتحرج . أن الحرج يقع على الجانب الآخر وقد جاء بيرتون الى هنا ليقول لياسوا « يجب الا تختلط الأمور بيننا فأنت وأنا كما كنا دائما » ولكنه لم يقل شيئا وجلس قرابة النصف ساعة دون أن يقول شيئا بينما كان « ياسوا » يثرثر فى تواد عن حياته ويتحدث فى أمل عن اليوم الذى يستطيع أن يعود فيه الى الرسم مرة أخرى فقد كان سبب الله انه لم يستطع أن يرسم واخيرا صافح ياسوا وخرج .

وبعد يومين ســــال بيرتون هول عن جين ايرل فى مساكن العاملين فى المشروع واكتشف انها لم تعد تعيش هناك وانها تأتى الى العمل كل صباح ، وطلبها فى بيتها ودار بينهما هذا الحديث :

ـ ماذا تفعلين فى الصحراء ؟ .

ـ اعيش .

ـ هل تناسبك هذه الحياة ؟.

ـ انني اريد بيتا خاصا بى .

ـ وهل انت وحدك ؟ .

ـ بالطبع وحدى .

ـ اذن سوف آتى لأراك . هل تعدين الطعام ؟ ».

ـ نعم أعد الطعام لى .

ـ اجعليه لاثنين ».

ثم التقط قبعته وقال لسكرتيرته :

ـ قولى لزوجتى انى ذاهب لتناول العشاء مع جين ويمكن أن تلحق بى اذا رغبت ».

وكان الحديث قد كثر فى المعسكر حول جين ايرل وحيالها بمفردها .

وذهب بيرتون هول اليها وتناول الطعام ودار بينهما حديث مرح وقالت جين :

ـ ان فيرمى يريدنى أن أعود للعمل معه ».

فسألها بيرتون هول :

ـ وهل ستذهبين ؟ ».

فقالت له :

ـ لا أعرف . ان هذا يعتمد على مدى أهميتى الآن بعد أن انجز العمل ».

فقال بيرتون :

ـ ان العمل لم ينجز فالمسألة الآن كيف يستخدم هذا السلاح .

ـ يستخدم ، هل تفكرون فى استخدامه ؟».

ـ ان الحرب يجب أن توقف أليس كذلك ؟».

ـ ولكن ...».

ولم تكمل لقد قاطعها بيرتون هول وأمرها بالسكوت وأن تنصت له ثم أخذ يتكلم ويقول :

ـ سأوضح لك الموقف لقد كان فيرمى على حق حين قال ان الألمان لم يصنعوا القنبلة ، كانت لديهم فكرة عن الانشطار ولكنهم لم يفكروا أبدا فى البلوتونيوم ومنذ ثلاث سنوات تخلوا عن فكرة

اليورانيوم ولكنهم كانوا يحلمون بالمفاعل وفى شهر يناير كانوا ما يزالون يحلمون بذلك ولكن هتلر أمرهم أن يتخلوا عن كل شيء لا ينتج السلاح فى خلال ستة شهور ونقطة الضعف الوحيدة هى أن الالمان لم يسيروا فى الطريق الذى سرنا فيه ، اننا هنا عملنا جميعا معا واستطعنا ان نستغل عقول العلماء الأوروبيين ونستخدم افكارهم ونتنتج السلاح ، ولكن ماذا سنفعل بالقنبلة هل نسقطها او لا نسقطها ، انه يجب أن ننهى الحرب ، فما هى الطريقة التى تنقذ بها معظم الأرواح ، واليابان هى العدو الوحيد ويجب أن تستسلم فكيف نكسب بأقل قدر من الدمار ، وقد تحدد تاريخ الغزو أول نوفمبر من هذا العام ، عام ١٩٤٥ وسوف يهبط رجالنا فى كيوشو جزيرة كيوشو الجميلة التى زرتها لمدة أيام قليلة وهى مدينة ساحلية لا مثيل لها فى العالم .

فقالت جين وهى تخفى وجهها بين يديها :

ــ لا تفعلوا ذلك أرجوك يا بيرت .

وواصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ــ لقد قدر كل شيء ، فاذا قمنا بالغزو فسوف يموت نصف مليون أمريكى ومليونين ونصف من اليابانيين وهم لا يخشون الموت كما تعرفين ، اننا يجب أن نرهبهم وأن نظهر لهم مثل هذا السلاح الرهيب الجديد حتى يستسلموا .

فقالت جين فى همس :

ــ لا أستطيع ان اسمع اكثر من ذلك .

ثم أضافت :

ــ اننا اذا استخدمنا القنبلة فسوف تكون بداية النهاية لنا جميعا ، كل شعوب الأرض .

وودعها وانصرف ومضت هى الى التليفون وطلبت ستيفن وصرخت وهى تقول له :

ــ اين انت ؟ يجب ان اراك الآن .

ومن بعد لم تستطع أن تقدره سمعت صوته يقول :

ــ جين لا أستطيع أن أحضر فالجنرال منتظر .

فلم تجب ولم تستطع أن تتكلم وجاء صوت ستيفن يقول :

ــ جين هل تسمعينني ، جين هل أنت هناك ؟.

ولكنها وضعت السماعة فى هدوء وحملقت فى الحجرة وقالت بصوت مرتفع :

ــ لا ، يا ستيفن أنا لست هنا .

***

واستطاع بيرتون هول بصعوبة أن يفيق من الغيبوبة التى داهمته ، كان فى سريره الكبير فى منزله وقد تعجب ما الذى اتى به الى هنا فهو يتذكر أنه كان فى القطار وكان نائما وسأل زوجته:

ــ كيف جئت الى هنا ؟.

فهدأت منه ووضعت يدها على جبهته وقالت :

ــ لقد ارهبتنى .

ــ الم انم هنا ليلة أمس ؟.

ــ انك راقد فى سريرك منذ اسبوع .

واخذ بيرتون هول يتطلع الى السقف وهو لا يشعر بجانبه الأيمن . واخذ يسأل نفسه أين كان .. فقد كان يتحدث مع جين وكانت مضطربة وكان يتحدث معها عن القنبلة والآن هو فى سريره لابد ان شيئا قد حدث له وأخذ يتذكر ولكنه لم يستطع وسأل زوجته ماذا حدث فقالت :

ــ عندما حملوك الى هنا كنت أعتقد انك قد مت فقد كنت فى القطار عندما جاءتك الازمة .

ــ وماذا كنت أفعل فى القطار ؟.

ثم ضحك وأخذ يشرب الحساء الذى جاءت به زوجته انه مريض والازمة خطيرة ويمكن ان يمكث فى السرير شهرا أو شهرين

لذلك فهو لن يذهب الى الجزيرة عندما تسقط عليها القنبلة ويمكن أن يحل ستيفن كوست محله .

فى ذلك الوقت كان ستيفن كوست يقول :

ـ يمكنك أن تحصلي على اجازة بأجر . لقد انتهت مهمتــك بالنسبة للقنبلة،والمسألة قد خرجت من أيدينا الآن .

كانت جين قد خرجت من المعمل فى صباح هذا اليوم من ايام يوليو بعد ارق طويل وبدات تذكر فى دهشــة هل حدث فعلا أن تناولت الفطور مع ستيفن ؟ كان هذا الحدث كحلم غامض عبــر مخيلتها ، وربما كانت غلطتها انها طلبت منه مهلة ولكن الوقت قــد مر .. خمسة أيام ، وستة ايام ، ولم يحاول أن يبحث عنها ، ومرض بيرتون هول كارثة بالطبع فان ستيفن سوف يتولى كل شيء ولكن هل يحتاج هذا كله الى أن يحدث هذا الصمت بينهما طيلة ستة أيام . ولما لم تستطع ان تتحمل ذلك ذهبت الى مكتبه هذا الصباح لتتبين الأمر . ولكنه يقترح عليها أن تحصل على اجازة وتساءلت الى اين سأذهب وماذا سأفعل وقالت لستيفن :

ـ كيف استطيع أن أساعدك هذا هو ما أريد ان افعله .

فقال :

ـ انني لا اعرف ؛ انني مضطر لأن اتتبع ما يحدث وســوف اذهب لأرى بيرتون هول غدا حتى اعرف منه كل شيء .

ولم تجد ما يدل على أن هناك معرفة بينهما وشــعرت جين بجرح عميق . انه لا يفكر فيها . هو فقط يفكر فيما يفعله وقالت في نفسها انني اتصرف مثل اى امرأة وانا لست كأى امرأة ، فأنا عالمة ونهضت وهي تكبح جماح نفسها وقالت :

ـ يمكنك أن تبلغني ان كنت استطيع ان اقدم اية خدمة وفى هذه الاثناء لن أحصل على اجازة سوف أعود الى معملي كالمعتــاد وسوف اعكف على تجربة بعض النظائر وغريب اذا لم نعد نعمل فى مهمة الحرب .

فقال لها :

ـ ان المسالة الآن تتعلق بالانتاج فنحن نريد ان ننتج ثانيـــة وثالثة .. الخ .

وخرجت جين وبعد ذلك طلب ستيفن كوستة الجنرال واعرب من رغبته في ان يراه ومعه ثلاثة من العلماء وتمت المقـابلة ودارت حول استخدام القنبلة وقال ستيفن للجنرال :

ـ انني متالم لما سمعته من اننا ننوى القاء قنبلة على العدو.

فساله الجنرال :

ـ اذن لماذا صنعناها ؟.

ـ من اجل الدفاع لا من اجل أن نقتل آلاف الناس وارجوك أيها الجنرال أن تعرف ماذا سيكون وقع ذلك على الراى العام فى العالم اذا اسقطنا القنبلة على بنى البشر سوف تكرهنا شعوب العالم وترتاب فينا وتخافنا .

ثم قال طومبسون :

ـ وقد يأتى وقت نريد فيــــه من اجل ســـــلامتنا أن نمنع استخدام هذا السلاح باتفاقية دولية فكيف سنبدو حينئذ اذا كنا أول من استخدمه .

وقال بوب ايفز :

ـ اننا فى موقف ضعيف الآن بعد أن استسلم الألمان فسوف يقول الآسيويون اننا انتظرنا حتى خرج الألمان من الحرب واسقطنا القنبلة على الأجناس الاخرى .

فقال الجنرال مزمجرا :

ـ لو اهتممت بما يقوله الناس لما فعلت شيئا لقد كلفت بمهمة وأنا اقوم بهذه المهمة .

وانفض الاجتماع وعاد الجميع الى مكتب ســـــيفن فقـــال ستيفن :

ـ سوف نعرض الأمر على المسئولين فى واشنطن .

وقال طومبسون :

ـ على وزير الحرب .

ـ أو على الأقل نصر على أن تستخدم على تجمعات القوات أو المنشآت الحربية ؟

وهنا قال ستيفن غاضبا :

ـ سوف نصر على الا تستخدم بالمرة .

وفى واشنطن تحدث اليهم جنرال مشهور وقال :

ـ انكم جميعا من المدنيين وان اقنعكم بشىء ففى الربيع الماضى كنت اعارض استخدام القنبلة أما الآن فقد تغيرت نظرتى واننى لا اعتقد حسب ما شاهدته فى الشهور الأخيرة أن اليابانيين سوف يستسلمون نتيجة للهجمات الجوية التقليدية والعمليات البحرية العادية . ولذلك أرى أن الطريق الوحيد لانقاذ الارواح الأمريكية وارواح اليابانيين كذلك هى أن ننهى الحرب بسرعة .

ومضى يقول :

ـ اننا اذا اسقطنا هذه القنبلة على مدينة فان يقتل أكثر من عشرين الفا ويمكن شفاء معظمهم .

وصمت الجميع برهة ثم بدأ الجنرال العجوز يقول :

ـ اننا يجب أن نستخدم القنبلة ونستخدمها بسرعة .

وقال زيجنى :

ـ هذه جريمة دولية هل يمكن أن تقرئى ما كتبته .

كان يتحدث الى جين فى بيتها فى صبيحة يوم أحد وكان قد تحدث من قبل فى كل مكان فى شيكاغو وفى نيويورك وفى « تينيسى » وفى « واشنطن » وبينما كان يتحدث اليها وضع امامها ورقة كتب فيها نداء الى الانسانية وأخذت جين تقرأ فى صمت :

« ان البلد التى تضع سابقة باستخدام هـذه القوى الجديدة لأغراض الدمار يجب أن تتحمل مسئولية فتح الباب على عهد من الدمار على نطاق لا يمكن تصوره .. »

وظلت تقرأ حتى نهاية النداء وأخذت تقرأ قائمة الأسماء التى وقعت عليه وكانوا جميعا من أبرز العلماء ولكنها لم تر اسم ستيفن وتساءلت :

ـ اننى لا أرى اسم ستيفن كوست .

فتأوه زيجنى وشد شعره المجعد الطويل وقال :

ـ لقد ذهبت اليه كثيرا وهو يقول انه لا يستطيع أن يوقع على هذا النداء حتى يفكر فى بديل لذلك وسألته هل هنـاك بديل للموت ولم يجب على .

ولم تجب جين وجلس زيجنى يراقبها فى لهفة ماذا ستفعل ؟ عالمة شابة وامرأة ربما لا يكون توقيعها هاما ، ولكنها موضع احترام كبير وقال لها :

ـ لن اضغط عليك لتوقعى ، اترکى الأمر لضميرك وقلبك .

فقالت جين فى ثبات :

ـ سوف أوقع .

وامسكت بالقلم الذى قدمه لها وكتبت اسمها ونهض وهـو يقول لها :

ـ شكرا ، ارجوك أن تتكلمى فى كل مكان عن هذا الأمر .

فوعدته بذلك وذهبت تبحث عن ستيفن وقال لها :

ـ ادخلى اننى آسف لأنك انتظرت فـترة طويلة اننى على اتصالات مستمرة منذ أن عدت من واشنطن منذ ثمانية أيام .

وجلست فى صمت فى الكرسى المواجه له وأخذ يحملق فيها وقال :

ـ جين السنت مريضة ؟»

فأجابته بالنفي فقال :

ـ انك شاحبة جدا »

فقالت له :

ـ انني اشعر بالغربة واحس كانني غريبة هنـــا وانت قريب مني •

فقال لها :

ـ اعرف ذلك ، اننا في فترة غريبة تنتظر اشياء كثيرة »

فقالت بهدوء :

ـ انا لم انتظر ولـــكني اريد ان اقول لك انني وقعت على الاحتجاج الذى كتبه زيجنى •

فرفع اليها حاجبيه السوداوين وقال :

ـ انى آسف اذ فعلت ذلك »

فقـــالت :

ـ انت آسف ! لم اكن اتصور ان أسمعك وانت تقـــول انك آسف لانني احتججت على القاء القنبلة •

ـ ان ما اعنيه هو لماذا لم تتحدثى معى فى هـــذا الموضوع ، ان هذا ما اعمل فيه الآن فانا احصل على جميع الآراء من كل مكان ومن كل العلماء وقد اقترع خمسة وثمانون فى المائة على استخدامها وبدون تحذير •

ـ ولكن ماذا تقول الدول الاخرى عنا ؟

ـ لقد استطلعت الآراء فى كندا وبريطانيا وفرنسا واغلبيتهـا تؤيد استخدامها على الفور والرياسة فى واشنطن توافق على ذلك بالاجماع •

فقالت وعيناها تحترقان كنجمتين سوداوتين :

ـ اذن فانا سعيدة لانى وقعت على الاحتجاج ، سعيدة الف مرة ، فهل كان يمكن ان اجادل على الموت بعد أن شاهدت فيلدمان يموت .

وهمست وهي تقول :

ـ الم تحتج يا ستيفن ؟ .

فتنهد وهو يقول :

ـ اننى لا اشترك فى هذا فالأغلبية تقرر ذلك .

فصرخت :

ـ اين انت ، كنت اعتقـــد انك انسان ، هـل تترك الاخرين يقررون ذلك ؟

فنظر اليها بعينين مجهدتين تحيط بهما ظلال سوداء :

ـ لقد اتخذت قرارى .

فقالت فى ازدراء :

ـ لقد قررت الا تقرر حتى لا تكون مســئولا ، انك لا تريد أن تكون مسئولا ولكنى اريد ان اكون مسئولة عن النضال بكل قوتى وعقلى ضد هذا الشيء الذى سمعناه ، لكم وددت ان تقطع يدى اليمنى قبل أن اساعد فى صنعه لو كنت تصورت اننا سوف نستخدمه ، ماذا يقول عنا بقية العالم اذا استخدمنا هذه القنبلة ، نحن امريكيون ، انهم لن يغفروا لنا ابدا ، لقد احبنى الأطفال فى الهند لاننى امريكية ، وعندما كنت فتاة كانت رفيقاتى فى المدرسة يحببننى لان بلادى كانت فى يوم من الأيام مستعمرة وقد ناضلنا من اجل أن نتحرر ، اننا او اسقطنا القنبلة يا ستيفن سوف نقضي على انفسنا فى كل مكان بالعالم ولن يثق بنا الناس بعد ذلك .

ثم حول الحديث الى ما عرضه عليها وقال :

ـ اننى احبك يا جين .

فقـــالت :

ـ انك لم تحبنى ابدا .

وتحولت عنه وغادرت المكان وتركته وحيدا . وعندما تركته مضى فى عمله الذى يجب أن يتم بسرعة . فى ذلك الصباح جاءه مساعد الجنرال وقال له أنهم في واشنطون يريدون ان يعرفوا راى الناس فقال له :

ــ سوف اكتب لهم بذلك .

وبينما كان مساعد الجنرال ينتظر كتب ستيفن التقرير وسلمه له وبعد فترة قليلة عاد مساعد الجنرال ليقول له :

ــ انهم فى واشنطن يريدون ان يعرفوا رأيك ..

فقال ستيفن فى اعياء :

ــ رأيى ؟ اننى افكر فى ذلك منذ اربع سنوات ، فقد كان والدى رجل دين ولم يكن يؤمن بالحرب .

فسأله الكولونيل مساعد الجنرال :

ــ هل توافق ؟.

فقال وهو يتردد :

ــ نعم .

واخذ القلم وكتب :

ــ اننى مع الأغلبية .

ثم اضــاف :

ــ بالرغم من اننى آسف لضرورة اســتخدامها وارجو الا تستخدم اكثر من مرة واحدة .

ثم وقع باسمه .

ومرة اخرى جلس وحيدا . وفى فزع امسك بالتليفون وطلب جين واخذ جرس التليفون يدق ولم يجب احد اذن ، اين ذهبت وماذا يفعل ليحل هذه المشكلة وكيف يستطيع كل العلماء أن يلقوا ما فعله هؤلاء العلماء والعسكريون ورجال السياســة الذين أصروا على صنع القنبلة وقرروا استخدامها . انه يجب ان يذهب الى واشنطن دون تأخير .

وبعد ساعة كان يلقى بأشـياء فى حقيبتـه ، ويندفع ليحلق بالطائرة رغم كل الاوامر وذلك لان القطار سوف يكون بطيئا جدا وناداته هيلين من المطبخ حيث كانت تعـد له بعض الساندوتشات ليأخذها معه ويأكلها حينما يريد .

ـ ستيف .. ان دكتـور زيجنى هنـا .. انه يقول انه جاء ليراك .

ـ قولى له يصعد ..

وفى لحظة كان زيجنى هنـاك وشعره يتطاير حول رأسه .. وقال :

ـ لقد لحقت بك فى الوقت المناسب . انك ذاهب الى واشنطن استمع لى .. ان هناك شيئا يجب ان تعرفه اولا .. انني قادم لتوى من واشنطن . ولقد اطلعت على صور للمدن اليابانية ـ صور التقطتها الطائرات الاستطلاعية .. وليس يهم أن تعرف كيف رأيتها ان الدمار جحيم هناك : لقد قامت طائراتنا ب ٢٩ بحملات دمار تشبه نيران الجحيم . وتكاد بحرية اليابان أن تكون قد تحطمت .. فلم تعد هناك سفن لكى تستخدم . فالحصار من البر والبحر .. ويجب أن تستسلم . وسوف يطالب الشعب هناك بذلك . والحكام لا يستطيعون ان يسكتوهم . لذلك فليس هناك ضرورة لان تقوم أمريكا بالغزو . ويجب الا نستخدم القنبلة . قل هذا للرئيس .. وقل له ان الوقت قد تأخر جدا . ان اليابان سـوف تستسلم .. انني اقسم بذلك . فاليابان فى حالة خضوع الآن . انهم شعب معتز بنفسه جدا .. ولكن يجب الا نذلهم ، ويجب أن نغفر قليلا ؟ لنأمرهم بالاستسلام فقط . فان هذا يبقى لهم بعض الكرامة .. انه لابد من استخدام القنبلة لانهاء الحرب ؟ .. لا .. لا .

وكان يستعطف فى جد ورغبـة أكيدة ، وتصبب العرق من جبهته وقال :

ـ ستيفن « سوف احاول .. سوف احاول » .

قال وزير الحرب :

ـ ان الرئيس يعرف كل ذلك .. وهو يبدو عليه التعب الشديد والحزن . كما انه فقد الكثير من وزنه . وقد وعد زوجته بانه ما ان تنتهي الحرب حتى يذهب الى المستشفى ليرى سبب الالم الذي يحس به في جنبه الايمن ، وسألته زوجته :

ـ الى متى ستظل هذه الحرب .

واجابها :

ـ بضعة أيام اخرى يا سارة .

فتعجب ستيفن وقال :

ـ اذن فهو يعرف ، وما يزال يصدر أوامره باسقاط القنبلة .

« فتنهد الرجل العجوز وقال .. هذه هي الأوامر الآن . اننا لا نستطيع ان نتراجع . ولكن نستطيع فقط ان نخفف من الأمر » .

ـ نخفف من الامر ! كيف نخفف من هذا الحريق الهائل ؟ .

ـ سوف نحذرهم .. والرئيس يجهد تحذيرهم .. وقد اضطررت لان اقول له ذلك .. فالاستسلام سوف يجعل الغزو شيئا غير ضروري .. والقنبلة أيضا .

ـ هل يطالب باستسلام غير مشروط ؟ .

ـ نعم .. وان يتقبل شيئا غير ذلك .. ولا يعتقد ان الشعب الامريكي سوف يقبل شيئا غير ذلك . والحق أن لدينا معلومات من اليابان بانهم لن يقبلوا الاستسلام غير المشروط .

ـ اذن فنحن نصر على القاء القنبلة ؟ .

ـ نعم .. ولكن احب ان اقول أن الشروط التي نقترحها مشرفة .. فسوف يحتفظون بسيادتهم .

ـ واذا لم يقبلوا ذلك فما هو البديل .

فقال وزير الحرب :

ـ الدمار الشامل .

وسقط صمت الدمار بينهما ، وقال ستيفن بعد برهة :

ـ اذن يجب أن نحذرهم .. ونحذرهم مرات كثيرة ..

ـ نعم .. سوف تقوم طائراتنا بالقاء بعض القنابل كتمهيد .. وبعد ذلك نعرض الاستسلام .

ـ ان الناس يجب أن تعرف .. فيمكننا ان نسقط ملايين المنشورات .

ـ ليس هناك وقت .

ـ يجب ان يكون هناك وقت .. سوف أقوم بذلك بنفسي ..

ونظر وزير الحرب الى ستيفن وقال :

ـ سوف أقدم المال اللازم .

ـ اشكرك .. والآن ارجوك أن تغفر لى خروجى بسرعة ..

ـ اندفع .. اسرع .. افعل ما تستطيع .. ودعنى أعرف كيف يمكن أن أساعدك .

وقال ستيفن مرة أخرى .

ـ شكرا ... شكرا ..

وفى السادس والعشرين من شهر يولية ، اذيع طلب الاستسلام ونشر فى الصحف أيضا . وانتظر ستيفن الرد من مكتب وزير الحرب .. وجاء الرد رسميا وقاطعا « ان الحكومة اليابانية لا تستطيع أن تتسلم هذا العرض المشين » . وامر وزير الحرب بالقاء المنشورات . وفى اليوم التالى سقطت المنشورات على مدن اليابان .. وقال ستيفن :

ـ هل يستطيعون القراءة .. فماذا يحدث لو أن الناس لا تستطيع القراءة ؟ .

فقال وزير الحرب :

ـ انهم يستطيعون القراءة .. فاليابان تتمتع بأكبر نسبة من التعليم فى العالم .

وكانت المنشورات تحذر بالقاء القنابل التقليدية أولا ..

وفي اليوم الثامن والعشرين دكت ست مدن بالقنابل ...

ومع ذلك لم يصل الى واشنطن اية كلمة ... وكان ستيفن يوما بعد يوم ، يعد الساعات ..

وفي الخامس من اغسطس ، لم يكن هنــاك اى رد .. فأمر وزير الحرب بتوجيه تحذيرات خاصة ، والقاء ملايين أخرى من المنشورات .

ومر اليوم ولم يأت اى رد . وفي منتصف الليل نظر الرجل العجوز المتعب الى العالم الشــاب . فلم يكن أى منهما قد غادر الحجرة طيلة ثمان وأربعين ساعة . وقال في هدوء :

ــ ستيفن .. لقد فعلنا كل ما نستطيع .. عد الى معملك .

وفوق المدن اليابانية حلقت الطائرة مثل فراشة متفتحة .. كانت صبيحة يوم من أيام منتصف الصيف ، وكان يوم العمل قد بدأ لتوه ، والرجال يســـيرون الى مــكاتبهم ، والنســوة يركبن « الروكشا » الى الســوق ، والأطفــال يستعدون للمســير الى فصولهم ، وسمع هؤلاء جميعا صوت أجنحة فوقهم .. ورفعوا رءوسهم ورأوا الطائرة في الجو .. طائرة واحدة .. واطمأنت نفوسهم .. فماذا يمكن أن تحدثه من خسائر ؟ . ان طائرات العدو تأتى بالمئات لتقوم بعملها .. وهــذه طائرة واحدة .. وربما تكون طائرة استطلاع ؟ . وابتسم كل منهم للآخر في ارتياح . وذهب كل منهم في طريقه .

ودون ان يلاحظ احد ، سقط من الطائرة شيء فضي ، وهبط الى اسفل شيء صغير في الجو مثل اللعبة ، نقطة تلمع ، قطعة من الشمس .. وكانت في الحقيقة قطعة من الشمس ، كتلة كبيرة جدا من النار ، ذات حرارة في داخلها تصل الى مائة مليون درجة فهرنهيتية ، مضغوطة كي صندوق معــدنى صغير . وفجأة انفجر هذا الصندوق . وانزاح الهواء من حولها بفعل الضغط الهائل ، ومن هــذا الانفجار العنيف هبت رياح بسرعــة مئات الأميال في

الساعة ، بل بسرعة الف ميل في موجات كبيرة .. والنار التفجيري العنيف القوي اللهيب في كل مكان يصل اليه من خشب وقماش ، واسطح من الطين ، واعمال الفن الكبيرة ، والأجساد البشرية والدم والعظام والمخ .. وبعد ذلك جاء دور الاشعاعات التي لا ترى .. فمن بين سكان المدينة وعددهم ثلاثمائة الف نسمة مات الثلث في الحال ، واحترق معظم الباقين ، أو أصيبوا بالشلل والندوب التي تتأجج نيرانا في لحمهم .

ووجه أحد الصحفيين الى الطيار الأمريكي الشاب الذى القى القنبلة هذا السؤال :

ـ كيف كان شعورك وانت تلقي القنبلة ؟ .

فاشعل سيجارة .

كان يوما صافيا ، والسماء بلا سحب ، واشراقة الشمس رائعة ، وكانت السفن على الشاطىء تنتظر ان تحمل القوات ، خمسين الفا منهم ، الى المعارك في الأدغال . وفي الساعة الثامنة والربع ، لمس الزر ، وأفرج عن القنبلة ، هذا الصندوق الذى يحتوى على الموت والدمار . وبعد ذلك اسرع هو والطيار الى طوكيو . وانفجرت النيران والدخان في المدينة . وتحت النيران والدخان والتراب اختفت المدينة .

ولكن في المدينة الميتة ، كان هناك رجل حي يزحف خارج زنزانة . ووقف لمدة ثانية واحدة ، ثم حملق فيما حوله . انه في صحراء ، صحراء داكنة من الموت والدمار . واطلق صرخة عنيفة ، وصيحة يأس ، ورفع رأسه الى السماء وصرخ :

ـ ان هذا فوق ما يتحمله البشر ..

وسقط على الأرض صمت رهيب .. وكان أعمقه في تلك المدينة التى انشئت واسست لتنتج القنبلة . والآن انتهى عملها . وقد أعلنت صحف الصباح ، والمذيعون في الراديو ، وأسلاك

التلغراف والأسلاك تحت المحيطات ؛ كل هذه قد أعلنت أن المهمة قد تحققت . ودمرت مدينة ثم أخرى ، وانتشر الصمت الكبير في كل مكان من العالم .

وفي هذا الصباح .. وفي صمت ... وبناء على مصادفة غريبة من مصادفات الحياة ، تلقت جين رسالة ظلت تنتظرها في مكتبها . وكانت قد ذهبت الى العمل هذا الصباح لأنه لم يكن هناك شيء آخر تفعله ، وفي هذا الصمت لم تتحدث الى أحد ، ولم يقترب أحد منها . وقد غادر ستيفن المكان منذ يومين دون أن يبلغها الى أين سيذهب . وخمنت انه لم يستطع أن يتحمل أن يوجد في هذا المكان بعد أن اسقطت القنبلة . وقد ذهبت هيلين معه . وهي لا تشعر بأية غيرة .. ولم تشعر بشيء .. واستقر الصمت في نفسها أيضا .. لقد انتهى شيء ما ..

وفي هذه اللحظة بين النهاية والبداية ، يظهر خطاب .. لقد ظل بينها وبين « رامان » الاتصال الحدسي الذي تقبلاه على انه علاقتهما التامة . وقد مضى عام كامل منذ أن كتب اليها . بل انه لم يرد على خطابها الأخير الذي كتبته في نوبة الم من العزلة بعد أن اعترف بحبه لها وقراره بالا يسمح لها أن تعود الى الهند أو اليه .. لقد كتب اليها منذ عام يقول : « لقد تخليت عن دمي الانجليزي واخترت الهند . واختيار الهند معناه أن أعيش الحياة الهندية . اننا لا نطلق زوجاتنا نحن الهندوس . ولاكشمي بريئة . وهي زوجة طيبة . فهل اتخلى عنها واطلقها لأنني أحبك ؟ . وهل انا خليق بذلك ؟ » .

كان خطابا قاسيا كتب برقة . وقد اجابت عليه بالحب والغضب . والآن ، وبعد عام ، عادت العاطفة القديمة التي كانت بينهما منذ أن كانت تلميذة ، وهو استاذها ، بعد أن رأت خطه ومن بين أيام حياتها جميعا كان ذلك هو اليوم التي شعرت انها في حاجة ماسة لأن تستمع اليه .. وتكلم هو ..

وذهبت الى معملها ، وأغلقت الباب . ولدقائق جلست وفي يدها الخطاب لم يفتح بعد وأخيرا فتحته ، وفي الصمت الذي يطبق على العالم بدأت تقرأ ..

« طفلتي الحبيبة ..

سوف تتصورين ان هذا خطاب غريب تتسلمينه هذا اليوم .. انني أكتبه اليك لأنك الأمريكي الوحيد الذي أعرفه . فهل لك صوت ؟ بما انك عالمه فلا بد انك على اتصال بالعلماء الآخرين ، وربما تستطعين ان تستعيري أصواتهم . والحقائق التي لدي تقول بأن العلماء الامريكيين يعدون لسلاح جديد . وقد تسالينني كيف عرفت ذلك .. انني أعرف لأن هناك طالبين روسيين في الفصول التي ادرس لها وقد بعثا الى بذلك من موسكو ، ولست أعرف لأي سبب . ان هنا في الهند اكثر من قليل من الطلبة الروس وهم ليسوا شبابا عاديين . فهم يعرفون اشياء كثيرة لا يعرفها الطلبة العاديون . فمثلا يعرفون معلومات عن هذا السلاح الجديد . فكيف حصلوا عليها ؟ . لابد انهم حصلوا عليها من الجواسيس . ولكن أية جواسيس ؟ . انه ليس من اهتمامي أن أعرف هذه الأشياء .. ان ما اهتم به هو انك كنت تصنعين سلاحا جديدا .. ولكن كيف تستطيعين يا طفلتي الصغيرة أن تصنعي سلاحا ؟ . فانني اعرفك رقيقة وذكية وحكيمة وجميلة كذلك . ومع ذلك فانت تعملين بين الرجال . واذا كان هناك سلاح جديد ، فارجوك الا يستخدم .. فسوف يكون سلاحا ضدكم وضد بلادكم .. ولن يغتفر لكم هذا السلاح الجديد . وانا اعرف شيئا عن هذا السلاح . لقد اخبرني تلاميذي . وقد ابلغوا بعض الناس ذوي الأهمية ، ذلك لأنهم يعرفون انه بعد أن تنتهي الحرب ، سوف تستقل الهند ، وهم يأملون أن تتبع روسيا .

طفلتي ..

ان قوة هذه الروسيا الجديدة هي انها تعرف ما تريد .. انها تريد أن تغير نمط الحياة في كل بلد ، وفي العالم كله . لذلك

يجب أن تعملوا ايضـــا فى بلادكم .. أولا .. يجب الا تسـمحوا باستخدام السلاح .. فسوف يقـال انكم احجمتم عن استخدامه بينما كانت المانيا فى الحرب ، ووفرتموه لتضربوا به اليابان . ولكن اذا استخدم ، ولم تستطيعى منع ذلك ، فحينئذ ناشدى حكومتك أن تبقى قواتكم فى اوربا . لا تنسحبوا بسرعة . واتركوا اماكن خالية تحتلها الجيوش الروسية . كذلك اقول لكم ان روسـيا سوف تنضم مع الصين ، أولا مع شيانج كاى شيك وبعد ذلك مع ماوتسى تونج . هل تعنى هـذه الأشـياء شـيئا بالنسـبة اليك يا طفلتى ؟ . ان لم تكن تعنى شيئا فادرسى كل ما يقال وما كتب عنها فى الحال . ان عصرا جديدا يبدأ . وهو عصر جديد رهيب . فمن اللحظة التى تستخدم فيها الأسلحة ، اذا اسـتخدمت .. سيكون كل شىء قديما .. طفلتى .. عودى الى الهند .. فهنا ستكونين فى أمان » .

ونسيت على الفور كل تحذيراته ، ولم تزل الدعوة بالعودة الى الهند ، وهناك ستكون فى مأمن . وطافت بمخيلتها مراعى طفولتها وصباها ، ووديان وسهول « الموريا » خضراء ومثمرة والجبال المتوجة بالثلوج والناس الذين يحبون ويتعاطفون . وتاقت لان تكون هناك آمنة كما قال رامان ، وبالقرب منه ان لم يكن معه . يا للاسف . انها لم تعد طفلة . فكيف تهرب مما وصلت اليه ؟ . فهى امرأة هنا أو فى الهند . وتركت الخطاب يسقط من يديها واحنت راسـها على ذراعيها المطويتين على منضدة المعمل واخذت تبكى .

وبعد قليل كانت تدق جرس منزل سـتيفن كوست . وكانت زوجته وحدها بالداخل بعد ان تركها اثر مشاجرة او نقاش اشتد وتوتر حول ما سوف يفعله ستيفن بعد ذلك . وفتحت البابلترى جين فقالت :

ـ لقد خرج ستيفن لتوه .

فقالت جين :

ـ لم آت لأراه .. لقد جئت لأراك .

ـ اذن ادخلي .

وقالت جين :

ـ لا ادري كيف ابدا .. وربما لا اعرف لم اتيت الى هنا .. انني اريد ان ارى امراة اخرى والتحدث الى امراة .. وفكرت فيك . فانا اعرف قليلا من النساء .. لقد جعلني عملي اعتزل الناس .

ـ انني احسدك .

ـ هل تعتقدين انني استحق هذا الحسد ؟.

فقالت هيلين وهي في حالة عصبية :

ـ لقد عشت وسط الرجال ونحن في المشروع .. وقد قالوا لك كل شيء . أليس كذلك ؟ ولقد عرفت أسرارهم .. نعم . انني اغار منك .. انني اغار من حياتك .

واستمعت جين الى هذه الثورة باهتمام مؤلم وقالت :

ـ لم أسمع امراة تتحدث حقا من قبل . انني أعرف ماتعنين .. انني لم أعش حياتك ولكنني أعرف .. وانا حسدتك أيضا كنت أريد أن أتزوج ويكون لي أطفال .

ـ لقد كنت أريد الأطفال أيضا ، وفجأة خشيت أن آتي بهم .. فهل آتي بهم هنـــا وانا لا أعرف ما سيواجههم ؟ هل تريدين أطفالا ؟.

ـ انني احلم بهم .. ولكنهم ليسوا أكثر من حلم . فلم أحب أي رجل الحب الكافي حتى اتخلى عن عملي .

وكانت رقة جين سببا لأن تتشجع هيلين وتقول :

ـ لو أعتقد أن ستيفن سيكون سعيدا مع .. معك ـ لقبلت ذلك ـ وربما لا يكون ذلك مرة واحدة .. ولكن على مهل ..

ـ انه حياتك كلها .. أليس كذلك ؟.

ـ أعتقد ذلك .. فانا لا اعرف تماما .

فقالت جين في هدوء :
- ولكنه ليس حياتي كلها - انني ارى حياتي كلها مع رجل ولكنها ستكون حياة نصنعها معا ، مادام احدهما رجل وآخر امرأة .. وسوف نجعل الحياة كاملة .. حياة البعد الرابع .

- انني لا افهم البعد الرابع .. ولذلك لا استطيع ان اعيشه .
ثم تقابلت عيونهما . وصافحتها جين وهي تقول :
- انني ذاهبة الى الهند .

ونعود الى بيرتون هول . لقد استطاع ان يقف على قدميه مرة اخرى ولكنه يستعين بعصا وهو يسير .. وكان قلقا .. يعي الجو الذي تغلف فيه زوجته نفسها والذي لا يدركه تماما . ولم يحدثها عن القنبلة لانه حقيقة لا يعرف اليوم او الساعة او المكان الذي اسقطت فيه . ولم يكن يريد ان يعرف . فلم يكن هذا من شانه . ولذلك فان اول شيء عرفه هو عندما راى ذلك في الصحف امس .. هيروشيما .. نجازاكي .. وانتهت الحرب .

وقال لزوجته :
- على اية حال .. لقد انتهت الحرب .

ولم تقل شيئا ، بالرغم من انها بطبيعتها ثرثارة ... واخذ يتناول فطوره في صمت وهو يختلس اليها بين الحين والحين بعض النظرات . ثم لم يطق صبرا فسالها :
- هل انت مريضة ؟
فقالت :
- انني مريضة .. حتى انني اذا خرجت من هذا المنزل فانني لن اعود .
واخذت تمسح عينيها . فرجع بكرسيه الى الوراء وقال :
- قولي ما في نفسك .. افرغي ما عندك ؟ .

ولم تقل كل شيء .. ولم تفرغ ما عندها .. ولكنها اخذت تبكي .. حتى انها كانت تبتلع بصعوبة . ثم انفجرت :

ــ انه شيء قذر تفعلونه .. كان يجب الا تفعلوا ذلك .. ماذا يحدث الآن ؟ انني لا اثق بك .

ــ انصتي .. كان يمكن ان يموت مجموعة من الشــــباب الامريكي .. تذكري ولديك .. اتريدين أن يكونا من الضـحايا اتريدين أن يموتا في الادغال ؟.

ــ لقد قتلنا مائة الف مرة واحدة .. فالصحف تقول ذلك .

ــ حينئذ كنت تريدين ولديك ..

ــ لا اريد أحدا .. وددت لو لم يكن لي أولاد .. انه ليس من الصواب ان نأتي بأولاد في عالم كهذا .

وصاح كل منهما في الآخر .. وأخذت مولي تولول .. وحاول أن يسكتها ولكنها لم تسكت .. لم تعد هدهداته تؤثر فيها كمـــا كان يحدث من قبل .. ثم قالت من بين الدموع :

ــ لقد استخدمتم القنبلة لانها شيء صنعتموه ، ولم تستطيعوا أن تتحملوا الا تستخدموها .. لذلك تعتبرون انفسكم على صواب وفي الحقيقة لستم على صــواب .. أود ان اعرف راي جين في هذا .. كما اريد أن اتحدث اليها .

ــ لن تستطيعي .. فقد استقالت .. وسوف تســـافر الى الهند .

وفي الهند استيقظ « رامان » مبكرا كعادته .. وهـــو الآن يرش معمله ومنزله بمياه نهر « الجانج » المقدس .. كان الصباح باردا ومشمسا .. والبيت هادئا فقد كبر أولاده .. وكان فخورا بأولاده .. وفي ليلة أمس كان يجلس الى جين .. ويوجه اليهـــا الـكثير من الأسئلة .. وعنـــدما افترقا بالأمس لم يتصافحا .. ولكن كلا منهما ادى لصاحبه تحية الاحترام على عادة اهل الهند ومع ذلك لم ينم .. فقـــد استيقظت الحقيقـــة في نفســـه وهي انه لم يحب اي امراة كما احب جين . وهو لا ينكر ذلك او يجادل فيه .. فقد تعلم أن يعيش مع الحقيقة . وكان بعد ذلك يرى جين

كثيرا .. واستطاع ان يقنعها بأن تعود الى بلادها .. والى مراكز العلم هناك .. وكانت ترجوه أن تبقى عاما أو عامين ولكنه كان يلح عليها بالعودة فهى لم تعد الطفلة الصغيرة .. واخيرا وافقت على رايه وقالت :

ـ يجب ان اطيعك .. ولكنك ستبعث الى بالخطابات .

فقال :

ـ الى ان نموت .

خرج ياسوا ماتسوجى من المعسكر .. واصبح حرا مرة اخرى .. وسافر الى شيكاغو ، حيث قرر أن يؤجر شقة صغيرة ويبدأ الرسم .. وحيث يجد صديقه بيرتون هول .

وفي صبيحة يوم من ايام اكتوبر وجد «بيرتون هول» «ياسوا» على عتبة الباب .

ـ تعال .. تعال ..

وجر الرجل اليابانى النحيف الى داخل المنزل وأغلق الباب وبعد ان جلس «ياسوا» سأله بيرتون :

ـ سوف تبدأ الرسم حالا بالطبع ؟.

ـ لا اعرف ماذا افعل أولا .. احيانا أريد أن أعود الى اليابان بعض الوقت .. فانى اريد أن أرى كيف حال اليابان الآن .. وفى بعض الأحيان أريد ان انغمس فى الرسم ..

فقال بيرتون هول :

ـ اتمنى الا تذهب .

ـ لم لا اذهب ؟.

ـ لا اريد ان يتحطم قلبك ..

ـ اذن فلنذهب معا ..

ـ انني لم افكر فى الذهاب الى هناك . وقد تكون على حق .. ولست ادرى ماذا يقول ستيفن فى ذلك . وربما يريد ان يأتى ..

وذهب الى التليفون وطلب ستيفن .. ولم يجده .. وبعد خمس عشرة دقيقة سمع صوت ستيفن الذى اعتذر عن الذهاب لانشغاله بعمله الجديد فى شركة « كانادى فاريل » فقال بيرتون هول :

ــ سنذهب انا وانت معا .. انتظر حتى أبلغ مولى بذلك ..
ووافقت مولى قائلة :

ــ اعتقد انك يجب ان تذهب فيجب أن ترى ما فعلتموه .. ولا يجب أن تتهربوا من النتائج .. واننى لسعيدة اذ أن ياسوا سوف يذهب معك يجب ان تجعله يرتدى « سويتر » تحت معطفه يا « ياسوا » .. فهو يبرد بسهولة الآن وينسى كل شىء عندما يكون مهتما .

واقلتهما الطائرة الى اليابان .. وبعد مؤتمر صحفى دارت فيه مناقشات طويلة واسئلة موجهة الى بيرتون هول ذهب هو وياسوا الى الجبل الذى يطل على نجازاكي . واخذا ينظران الى الاطلال التى كانت فى يوم من الأيام منزل «ياسوا » أو مدينته . وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ماكان فى يوم من الأيام منزل « ياسوا » أو مدينته .. وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ما كان فى يوم من الأيام منزل صباه .. وبكى بيرتون هول أيضا فهو يرفض أن يصدق انه كان يمكن ان يكون هناك بديل ذلك . ووقف الرجلان كل منهما فى حالة تعب على جزء صخرى من المنحدر المغطى بأشجار الصنوبر .. كانا فى هيروشيما .. وعرفا كل ما يمكن أن يعرف .. ورأيا الناس الذين كتبت عنهم الصحف الريبورتاجات والتقارير . وقال بيرتون هول :

ــ هل تعتقد ان هذا سوف ينسى فى يوم من الأيام ؟.
ــ لا اعتقد .. كيف تستطيع أن تنسى .. أو انسى أنا ؟. اننا نتذكر .. ولكننا لا نفكر ان علينا أن نعمل .. أنا أرسم وأنت تعلم ..

ولا فائدة من البقاء هنا آننا لا نستطيع ان نبقى . فقد تقدمت بنا السن .. ان علينا أن نقوم بعملنا .. ولا يهم أى شيء أكثر من ذلك ؟ .

ـ اعتقد انك على حق ..

وانتهت رحلتهما وعادا الى أمريكا . واخذ بيرتون يحلم بفصل مريح .. ووجوه شابة تنظر اليه لتتعلم وتسمع ، وشمس الصباح تشرق عبر النوافذ .

أما ستيفن فقد عمل ـ كما قلنا ـ فى شركة كانادى فاريل فى وظيفة محترمة تدر عليه الكثير من المال ، وتتيح له حرية البحث أكثر مما كان يتوقع . ولم يكن يفكر فى أن ما يقوم به الآن له علاقة بما حدث . وكان يسمع عن جين من حين الى آخر . كانت تعمل فى علم الأحياء . وقد كتب لها أن هذا العلم هو العلم الذى سيكون له شأن كبير . فتحسين الحياة ، وخلق حياة جديدة ، هما المجال القادم للعمل . لقد مضوا شوطا كبيرا فى الطبيعيات .. وعلى الرجال الذين يريدون السفر الى الفضاء ، ورجال الجيش هؤلاء جميعا أن يحققوا النظريات الآن التى تتعلق بصنع الصواريخ .. وقد سمع وهو فى واشنطن الشباب من العلماء يتحدثون بلغة جديدة خاصة بهم .. وقد قال الرئيس ان الله يعرف ماذا سيقولون عندما يعودون من الفضاء . ان السفر الى الفضاء هو الحدث التالى .. وسوف تشغلنا عن التفكير فى الحروب .. اقول هذا بمناسبة التفجير الكبير الذى فجرتموه فى الصحراء .. لقد دفع بنا الف عام الى الإمام .

وقال ستيفن :

ـ لست ادرى هل يستحق كل هذا .

وعاد الى شيكاغو وتحدث الى بيرتون هول عما رأى .. وكان نتوه قد عاد من اليابان . ولكنه لم يتحدث كثيرا عما رآه هناك .

وقال :

ـ ليس هناك فائدة من الكلام .. لقد اصبحنا « من القديم »
يا ستيف .. لقد عملنا اربع سنوات في المشروع .. ونجحنا ..
وقد صنعنا القنبلة وانتهت الحرب .. وهؤلاء العلماء الشباب
الجدد لا يفكرون فينا ، ولا يفكرون في القنبلة . لقد اكتشفنا
النار المقدسة لهؤلاء ، واستولوا عليها منا .. انهم يركبون الى
الفضاء على اجنحة القوة ..

ثم هرش راسه وقال :

ـ ان هذا يجعلني افكر في ابي .. والى الذكر ترتيلا كان
يردده من سفر أيوب حيث ساله الله « هلا امرت الصبح » ..
واني اعتقد ان هؤلاء الشباب عندما يذهب أول واحد منهم الى
.. واني اعتقد ان هؤلاء الشباب عندما يذهب أول واحد منهم الى
الفضاء ، ويتجه الى القمر عن طريق الطاقة التي اكتشفتها انا
وانت والعلماء الآخرون ، فسوف يعود الينا هنا على هذه الأرض
الصغيرة ..

ويقول :

ـ نعم أيها الانسان .. انني امر الصبح .

الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والارشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الاشعاع الثقافى في العالم العربى من القاهرة

مكتبات الدار

- نيويورك
- لندن
- الجزائر
- بيروت
- طرابلس
- بغداد
- الخرطوم
- الاسكندرية
- القاهرة

يصدر عنها

- روايات عالمية
- الكتاب الماسى
- مذاهب وشخصيات
- من الشرق والغرب
- كتب سياسية
- كتب قومية
- فى المسرح العا
- اخترنا للجندى
- اخترنا للطا
- دراسات اشتراكية
- رسائل جامعـ

مجلة الإذاعة والتليفزيون

مجلة بناء الوطن

ARAB OBSERVER

L'OBSERVATEUR ARABE

The Scribe ... ARAB REVIEW

Le Scribe REVUE ARABE

El Escriba REVISTA ARABE

Der Schreiber